

www.kotobarabia.com
د. إيهاب سلام
www.kotobarabia.com
بعض ما جادت به القريحة

بعض ما جادت به القريحة

همسات متنوعة

د. إيهاب سلام

مقدمة

هذا الكتاب فيه بعض ما جادت به القريحة فـي المملكـة العربية السعودية من مقالات وهمسات أرسلتها فـي أغلـب الأحوال إلى جريدة الأهرام أو مجلة الأهـرام الاقتصـادي وبعض منها تم نشره والبعض الآخـر لا أعـرف أسـباب الإعراض عن نشره . ربما يكون السبب أن المحـرر لـم يعجب بالهمسة أو المقالة ، ربما وجد أنها غير مناسبة لواقع الحال ، وربما لم تسمح ظروف النشر بالنشر .

ولذلك فإني أعيد نشر كل الهمسات والمقالات ، ربما تكون فيها عظة أو نصيحة أو عرض لتجربة من التجارب التي يمر بها الإنسان ، يستفيد منها واحد من البشر أو بعض البشر .

(١)

التغيير

يعلق المفكرون آمالاً كبيرة على دخول القـرن الحـادي والعشرين ، ويطالبون بالتسلح بأسلحة جديدة لـدخول هـذا القرن على رأسها التقنية . يطالبون بوضـع أسـس جديـدة للحياة ، وكأننا لن ندخل هذا القرن إن لم نغير ما بأنفسـنا . والتغيير ليس سهلاً ولن يكون بين يـوم وليلـة . والوضـع يحتاج إلى مجهود وعرق ودم .

التغيير عادة يأتي تدريجياً ، وقد يحدث نتيجة طفرة فـي الاختراعات فتنتقل الإنسانية في هذه الحالة من حقبـة إلـى أخرى ، بسبب هذه الطفرة ، وليس بسبب تحـرك الـزمن . بعد الحرب العالمية الثانية حدث التطور الهائل في العلوم لم يحدث من قبل . ودخلنا عصراً جديداً في منتصـف القـرن وليس في أوله . وأعتقد أن التغيير المطلوب مطلوب في أي وقت وليس مع بداية قرن أو نهايته وإلا فلننتظر نهاية القرن الخامس عشر الهجري لنبدأ عهداً جديدا . أي بعد ثمانين سنة . إن المفكرين يتكلمون عن القرن الجديد الميلادي كأنما لـن

يدخله إلا المتقدمون مع أنه مفتوح الدخول فيه دون بوابات .
ولو نظروا إلى القرن الماضي أو الذي فـي طريقـه إلـى المضي لرأوا أن من دخله من شـعوب الأرض المتقـدمون والمتخلفون ودخله أيضاً الذين تقدموا في بعـض المنـاحي وتخلفوا في البعض الآخر .

أنظر مثلاً بداية القرن العشرين في مصر كانـت المـرأة محجبة ولا تعمل . وأنظر نهاية القرن عادت بعض النسـوة إلى الحجاب مع أن أمهاتهن سافرات . وبعضـهن لا يعمـل رغم أن أمهاتهن كن من العاملات . والحجاب والقـر فـي البيوت يعتبر في عرف البنات الجدد تقـدماً مـع أن لـدى الأخريات السفور والعمل يعد من تقاليد التقدم .

وأنظر مثلاً إلى التداوي بالأعشاب لم يكـن يلاقـي فـي منتصف القرن قبولاً ، ولـو أن أجـدادنا كـانوا يتـداوون بالأعشاب . وها هي الصيحة تعود بعـد انتهـاء القـرن ، واصبح التداوي بالأعشاب " موضة " . وخذ مـثلاً مـن السياسة ، كانت الأحزاب موجودة في بداية القـرن عاملـة مجتهدة مقتحمة ، ثم اختفت دهراً بقانون اسـتبدادي ، ثـم عادت من جديد قبل أن ينتهي القرن بأكثر من عشرين سنة ،

لكن لو قارنت بينها وبين أحزاب بداية القرن لحكمت علـى الأحزاب الآن بأنها هزيلة العضوية متراخية الفكر متقوقعـة لا تلتحم بالجماهير تطالب أن ينضـموا إليهـا لا أن تنضـم وتسعى إليهم . وسوف تدخل القرن الجديد على هذه الصورة ولن يقف في طريقها أحد .

أليس ذلك يدعونا إلى الكف عن تقديس الدخول إلى القرن الحادي والعشرين . إننا أشبه بفقير طفـق يسـتاف ملابـس رسمية للدخول إلى حفلة مع أنه يمكنه أن يـدخل بملابـس عادية .

(٢)

الخطأ في الحساب

اقترحت عليكم أن يسمح الدكتور / يونـان لبيـب رزق لفريق من المؤرخين أن يعاونه في عمله الدائب دراسة الحياة المعاصرة في مصر من خلال جريدة الأهرام ومـا تنشـره اعتباراً من أول يناير ١٩٥١ . وحسبت أن ذلك سوف يكون خمسين سنة حتى عام ٢٠٠٠ ، أي ٢٦٠٠ أسبوع . وذكرت أن ذلك سوف يستغرق ١٢ سنة . ولكن الصحيح أن الوضع سيستغرق خمسين سنة على اعتبار أن المقالة تتضمن فتـرة أسبوع . ويبدو أنني حسبت أن المقالة يجب أن تتعرض لفترة أربع أسابيع (وذكرت على سبيل الخطأ أنها سوف تتعرض لأسبوع واحد فقط) ، لذلك يكون أمام هذا الفريق ١٢,٥ سنة لعرض خمسين سنة على الجماهير . أما الفترة التي يـؤرخ لها الدكتور فسوف تستغرق ٧,٥ سنة لـو شـملت المقالـة الأسبوعية فترة أربعة أسابيع . وبطبيعة الحال لن نتمكن من معرفة إجمالي ما دار في القرن العشـرين خـلال حياتنـا القصيرة . لذلك أعتذر عن هذا الخطأ الحسابي .

ويذكرني ذلك بقصة كنا نستذكرها في شهادة التوجيهية (الثانوية العامة اليوم) مكتوبة باللغة الفرنسية للكاتب الكبيـر آناتول فرانس . وفيها أن أحد الملوك طلب مـن مـؤرخي دولته أن يعرف تاريخ العالم . وكلف كوكبة مـنهم بكتابتـه وتقديمهم له . وجاءوا بعد عشرين سنة حاملين أربعين مجلداً . رفض الملك أن يقرأها لأن لا وقت لديـه وطلـب مـنهم اختصار هذه المجلدات . وبعد عشر سنوات جاءوا ومعهـم مجلد واحد . رفض الملك قراءته أيضاً لأنه يحتاج إلى وقت طويل وليس في العمر بقية . تقدم كبير المؤرخين منه وهـو مؤرخ عجوز وطلب منه أن يلخص تاريخ العالم . سمح لـه الملك أن يقوم بذلك ، فقال : ولدوا وتعذبوا وماتوا .

(٣)

الناخبون

يبلغ عدد السكان المواطنين في جمهورية مصر الآن أكثر من ٦٤ مليون نسمة . يمثل الذين يبلغون مـنهم ١٨ سـنة فأكثر ٥٦,١ % أي أكثر من ٣٦ مليون ناخب . لكن بيـان وزارة الداخلية في الاستفتاء الأخير أورد أن عدد النـاخبين حوالي ٢٤ مليون ناخب وهـؤلاء يمثلـون ٦٦,٧ % مـن مجموع هيئة الناخبين أصحاب الحقوق السياسية الـذين تـم تقديرهم فيما سلف . أي أن هناك ١٢ مليون ناخب لم يسجلوا أسماءهم في جداول الانتخابات فمن هم ؟ .. إنني أعتقـد أن معظمهم من النساء اللاتـي حالـت التقاليـد دون تسـجيل أسماءهن وأعرض البعض منهن عن القيد بعداً عن المشاركة في الحياة السياسية ومن هؤلاء أيضاً الشباب الذين يعزفـون عن المشاركة في الحياة السياسية

ويمكن أن نحذف من أصحاب الحقوق السياسـية هـؤلاء الذين لا يجوز تسجيل أسـمائهم فـي جـداول الانتخابـات كالمحكوم عليهم في جناية أو فرضت عليهم الحراسة بحكـم

من محكمة القيم والمحكوم عليهم بعقوبة الحبس في الجـرائم المخلة بالشرف والأمانة أو المحكوم عليهم بالحبس في إحدى الجرائم الانتخابية أو من سبق فصله من العاملين في الدولـة والقطاع العام لأسباب مخلة بالشرف . أو هؤلاء الذين حجر عليهم أو المصابون بأمراض عقلية أو شُهر إفلاسهم . أضف إلى هؤلاء الذين يعفون مـن أداء هـذا الواجـب (واجـب الانتخاب والاستفتاء) من ضباط القوات المسلحة الرئيسـية والفرعية والإضافية وضباط وأفراد هيئة الشرطة طوال مدة خدمتهم بالقوات المسلحة أو الشرطة .

لكن هؤلاء جميعاً لن يزيدوا عن مليونين أو اقل من ذلك ، فما السر في أن ليس كل الناخبين غير مقيدين في جـداول الانتخابات ، رغم أن المادة ٤ من القانون ٧٣ لسـنة ١٩٥٦ بعد تعديلها تنص على أنه " يجـب أن يقيـد فـي جـداول الانتخابات كل من له مباشرة الحقوق السياسية من الـذكور والإناث " . السبب في ذلك هو أن الحكومة تترك للأفراد أن يمارسوا حق القيد من تلقاء أنفسهم وتسجل كل من يسـتحق ذلك بناء على طلبه . ولا تبادر هي بأن تقوم بهذا القيد من تلقاء نفسها كما ينص القانون وإخطاره بعد ذلك ، لأن حقـي

الانتخاب والاستفتاء واجبان علـى المـواطن لا يجـوز أن يتخلف عن أدائهما وإلا تعرض للعقوبـة وهـي غرامـة لا تجاوز عشرين جنيه لمن تخلف لغير عذر مقبول عن الإدلاء بصوته في الانتخابات أو الاستفتاء .

وفي الاستفتاء الأخير لو كـان كـل أصـحاب الحقـوق السياسية الواجب قيدهم في جداول الانتخابات قد قيدوا أنفسهم لكسبت الحكومة ٣٠٠ مليون جنيه غرامات على المـواطنين الذين تخلفوا عن أداء القيد (١٠ مليون لم يقيدوا أسـماءهم أصلاً + ٥ مليون تخلفوا عن أداء الواجـب الاسـتفتائي) . وعلى العموم فإن الحكومة في النهاية تعفـو عـن هـؤلاء المتخلفين .

(٤)

الاستفتاء

تساءل الدكتور يحيى نور الدين طراف عن الإجـراءات الدستورية التي تحكم عملية الاستفتاء في مصر في ٧ / ١٠ / ١٩٩٩ .

والتساؤلات التي أوردها الدكتور هي الآليات التي سوف تجعل المشرع المصري يهجر اللجوء إلى طريقة الاسـتفتاء والعمل بطرق الانتخاب المعروفة . فمثلاً إذا تألف مجلـس الشعب من أقليات متنافرة فكيف سـيختار المجلـس رئـيس الجمهورية ؟ .. إذ تتطلب المادة (٧٦) من الدستور أن يتم الترشيح في مجلس الشعب لمنصب رئيس الجمهورية بنـاء على اقتراح ثلث أعضائه على الأقل . ويعـرض المرشـح الحاصل على أغلبية ثلثي أعضاء المجلس على المـواطنين لاستفتائهم فيه . وليس بعيداً أن يتألف المجلس مـن أقليـات متنافرة فذلك هو الوضع الآن في تركيا بعد أن حكمت حكماً دكتاتوريا طويل المدى وتفرقت الجماهير شـتى . وتتـآلف الأحزاب فيما بينها من أجل تشكيل الوزارة فما بالك باختيار رئيس الجمهورية ؟ .. المهم أن المادة (٧٦) قد لمست ذلك

الموقف فنصت على أنه " فإذا لم يحصـل المرشـح علـى الأغلبية المشار إليها أُعيد الترشيح مرة أخرى بعد يومين من تاريخ التصويت الأول . ويعرض المرشح الحاصـل علـى الأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس على المواطنين لاستفتائهم فيه " . ولكن الدستور سكت عن الوضع الذي لا يحصل فيه أحد المرشحين من الكتل الحزبية المختلفة في المجلس علـى هذه الأغلبية المطلقة كأنما الأمر لن يحدث . في هذه الحالـة سوف ينبري أحد أعضاء المجلس ويطالب بتعديل الدستور . ويفتح الباب أمام طريقة الانتخاب كوسيلة من وسائل اختيار رئيس الجمهورية مثلما جرى الوضع في الـيمن ، وجـرى أيضا في الجزائر وسيجري في تونس .

المادة (٧٦) تنص أيضاً على أن يعتبر المرشح رئيسـاً للجمهورية بحصوله على الأغلبية المطلقة لعدد من أعطـوا أصواتهم في الاستفتاء ، فإذا لم يحصل المرشح علـى هـذه الأغلبية رشح المجلس غيره . أي سوف ندخل في دوامة من الترشيحات وإعادة الترشيحات وقد لا تنتهي هذه الدوامـة إلا إذا كانت هناك شخصية جاذبة للجماهير تُعقد عليها الآمـال ويفترض أنها ستخدم الوطن والمواطنين .

هكذا يصبح من الواجب اللجوء إلـى طريـق الانتخـاب كوسيلة من وسائل اختيار رئيس الجمهورية . ويمكن وضع شروط للترشيح لرئاسة الجمهورية تحد كثيراً من أن يتقـدم للانتخابات كل من أراد ذلك . وهذه الشروط تقفل الباب أمام الجاهل أن يتقدم . وتفتح الباب أمام المتعلم . وتسمح لمن له ماض سياسي مجيد أن يتقدم . ويمتنع على المبتدئ في عالم السياسة أن يطرق الباب . وتجعله يؤخر قدمه كثيراً قبـل أن يجرؤ على التقدم . وتوافق هذه الشروط على مـن يسـنده حزب جماهيري معروف . وتأسف لمن يظـن فـي نفسـه الجدارة وهو فاقدها . وهكذا تسد هذه الشروط على المخادع المتسلق الانتهازي وتفتح الطريق أمـام الشـريف الطـاهر العفيف .

إن تعديل المادة (٧٦) من الدستور أمر عاجل حتـى لا نواجه الوضع الذي آلت إليه تركيا فيتكون مجلس الشعب من أقليات غير متجانسة يصعب عليها تشكيل الحكومة واختيار رئيس الجمهورية .

ملحوظة : كتبت هذه الهمسـة قبـل أن يطلـب رئـيس الجمهورية تعديل المادة (٧٦) ولم تنشر .

(٥)

حرب أكتوبر

يحتاج المبدعون إلى قراءة يوميات حرب أكتوبر من واقع الصحف والمجلات والكتب التي ظهرت وقت اندلاع الحرب لوضع هذا الحدث وبلورته في تصوراتهم . وتحويلـه مـن وقائع مادية إلى وقائع فنية . لقد كنت أقـوم خـلال السـنة الماضية بالكتابة عن حرب أكتوبر . ووجدت مشقة كبيرة في متابعة الأحداث ، ربما لندرة المراجع في البلد الذي أقيم فيه . وبعض المراجع التي وجدتها كانت مراجع من دول غيـر مصرية ، وكانت في بعض الأحيان تتحيز ، مما جعلني لا أثق في بعض الإحصاءات الواردة بهذه المراجع .

إنني أهيب بمركز الأهرام للداسات التاريخية أن يبدأ فـي عرض يوميات الحرب . ولا يقتصر على حرب أكتوبر ، أو حرب الاستنزاف ، إنما يمتد إلى حـرب ١٩٦٧ باعتبارهـا الجذور التي ترجع إليها الحربان الأخيرتان . فقـد أنـتفض الإنسان المصري بعد الهزيمة ، وصمم على أن يدحر الغزو ، وأوقع بالمعتدين شر هزيمة .

أريد في هذه اليوميات أن نذكر ليس فقط ما نُشـر فـي الجرائد والمجلات المصرية ، إنما ما نُشـر فـي الجرائـد والمجلات العربية والأجنبية عن تلـك الحـروب . بيانـات عسكرية ، تحركات عسكرية ، إحصـاءات بعـدد الشـهداء والقتلى والجرحى والمصابين فـي العمليـات العسـكرية أو العمليات المدنية أسماء الشهداء وماذا فعلوا وما هي بطولاتهم . مواقف لا تنسى مثل ضرب مدرسة بحر البقر أو ضرب خطوط أنابيب البترول . إذ أعتقـد أن المبـدعين يجـب أن يعيشوا الأحداث من جديد ولا أعتقد أن لديهم القـدرة علـى المرور على المكتبات العامة أو الخاصة لاستقاء المعلومـات والبيانات . فإذا ما تفضل مركز الدراسات التاريخية بالأهرام بنشر هذه اليوميات ، فإن هذا العمل سوف يكـون مقسـطاً وهذا التقسيط كاف ولسوف يؤدي إلى شأو عظيم من الإبداع .

(٦)

حودث الطيران

بسبب حوادث الطيران المؤسفة ، يفكـر الإنسـان فـي الطرق التي يمكن أن يتفادى بها البشر هذه الحوادث . وقـد لاحظت أنه إذا سقط الجسم علـى أرض رخـوة ، فإنـه لا يتحطم ، فمثلاً في حوادث الحريق ، يقفز المحاصرون مـن النوافذ العليا ، على شبكة مطاطية ، ولا يحدث لهم خدش ، وينجون من موت محقق من الحريق .

أما في حوادث الطائرات ، فإذا ارتطمت الطائرة بالأرض لأي عطل ميكانيكي أو فني ، فإنها تتحطم . وإذا ارتطمـت بالبحر ، فإن الجسم لا يطفو ، ولكن يغـرق . لأن المـاء لا يستطيع أن يحمل جسماً ثقيلاً ولو أنه يمكن أن يحمل جسـماً خفيفاً كالفلين مثلاً ، ذلك لأن الفلين يطفو على سطح الماء . فكيف لم يفكر مخترع حتى الآن في أن يبتكر جسماً طـائراً يطفو على سطح الماء أو لا يتأثر بارتطامـه بـالأرض إذا سقط عليها من ارتفاع هائل .

إن الحاجة أم الاختراع ، ومادامت حـوادث الطـائرات حوادث مؤسفة ، فيجب أن يتجه الذهن البشري إلـى هـذه

الوجهة ، وهو اختراع جسم يطفو فوق الماء ولـو أن فـي داخله ثقلاً كبيراً أو يهبط على الأرض دون ارتطام .

كنت أفكر أن في إمكان الطيار أن ينفخ بالوناً تحت جسم الطائرة إذا أصاب الطائرة خلل ما ، فحينما يلامـس الأرض فإنه لا يرتطم بها إنما قد يقفز عدة قفـزات لا تـؤثر فـي الطائرة ثم يستقر وإذا لامس المـاء فهـو يطفـو عليـه . واستقيت هذه الفكرة من ذلك الباراشوت الـذي ينفـرد وراء الطائرة متعلقاً بها ، فيحـد مـن سـرعتها علـى الأرض ، ويتحاشى به الطيار أي حوادث نتيجة سرعة الطـائرة عنـد نزولها على الأرض .

هل ذلك الفكر من إنسان مشغول بالدراسات النظرية مفيد لمفكر في الاختراعات العملية ؟ ..

الله أعلم .

(٧)

بداية الألفية الثالثة

لقد خلط الأستاذ / صلاح منتصر في بابه مجرد رأي في ٨ / نوفمبر / ١٩٩٩ بين الاحتفال بقدوم سنة ألفين وبداية الألفية الثالثة .

والواقع أنه لا يمكن تسمية الألفية الأولى إلا لو كانت تبدأ من واحد إلى ألف وليس ٩٩٩ سنة . وكذلك الألفية الثانية تبدأ من ١٠٠١ إلى ٢٠٠٠ . والألفية الثالثة تبدأ من ٢٠٠١ إلى ٣٠٠٠ أي لابد أن تحتوى على ألف سنة . ولو كان القرن التاسع عشر لا ينتهي في عام ١٩٠٠ لما سمي بذلك الاسم لأنه يبدأ من ١٨٠١ إلى ١٩٠٠ . وكذلك القرن العشرون إذا لم ينته في عام ٢٠٠٠ لما سمي بهذا الاسم فهو إذاً يبدأ من عام ١٩٠١ إلى عام ٢٠٠٠ . وإذا كان القرن التاسع عشر يبدأ من عام ١٨٠٠ إلى عام ١٨٩٩ والقرن العشرون يبدأ من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩٩٩ لكان الأجدر أن يسمى الأول القرن الثامن عشر ويسمي الثاني القرن

التاسع عشر . وقد أعجبني قارئ في بريد الأهرام يتكلم عن تكوين كومة تحتوى على مائة وحدة فلن تتكون الكومـة إلا من ١ إلى مائة وحدة ، والثانية من ١٠١ إلى ٢٠٠ وهكـذا يكون القرن الأول يبدأ من ١ إلى ١٠٠ . والقرن الحالي يبدأ من ١٩٠١ إلى ٢٠٠٠ .

وفي علم الديموجرافيا تكون الفئات العمرية تبدأ من صفر إلى ٤ ثم من ٥ إلى ٩ ثم من ١٠ إلى ١٤ وهكـذا . وهـذا النمط لو اتبع في السنوات لبدأ القرن الأول من صـفر إلـى ٩٩ والثاني من ١٠٠ إلى ١٩٩ والقرن الحالي مـن ١٩٠٠ إلى ١٩٩٩ ولما سمى القـرن العشـرون ولكـان الأجـدر بالتسمية القرن التاسع عشر . لذلك فالقرن يأخذ تسميته مـن السنة الأخيرة فيه وليس من السنة الأولى . ومثلمـا جـرى العمل في تنظيم فئات العمر على أساس البداية من الصـفر فإن فئات الأعوام جرى فيها العمل على أن تبدأ من الواحد ، وفي هذه الحالة تسمى بمنتهاها وليس بالغالبية العظمى مـن السنوات التي تندرج تحتها .

(٨)

علم الزمن

في علم الديموجرافيا تتكون سنوات العمـر مـن صفر ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، .. إلخ . فإذا تكونت مـن فئات العمر فهـي (٠-٤) ، (٥ – ٩) ، (١٠ – ١٤) وهكذا . فإذا تكون عمر الفرد من ساعة حتى أربع سنوات كاملة دخل تحت الفئـة الأولـى ، وإذا تكون من أكثر من أربع سنوات إلى تسـع سـنوات كاملة دخل تحت الفئة الثانية ، وإذا تكون من أكثـر من تسع سنوات حتى أربع عشرة سنة دخـل تحـت الفئة الثالثة .

أما في علم الزمن ، فإن اليـوم ٢٤ سـاعة وإذا أضيفت إليه ساعات فهو أكثر من يـوم ، وإذا قلـت عنه ساعة فلا يعد يوماً . والشهر ثلاثون يوماً فـإذا نقص عن ذلك فلا يمثل شهراً . والسـنة ١٢ شـهراً فإذا نقصت عن ذلك ولو بيوم واحد فلا تمثل سـنة .

وهكذا القرن مائة سنة فإذا قل عن ذلك لا يعد قرناً . والألفية عشرة قرون فإذا نقصت قرناً فـلا تكتمـل الألفية .

والبدء في الساعة الأولى من اكتمال الدقيقة الأولى وليس أقل من ذلك . والبدء في الشهر من بدء اليـوم الأول. والبدء في القرن من بدء السنة الأولى ولـيس أقل من ذلك فالبداية من الوحدة التي يتكـون منهـا الشيء وليس من الجزء الذي تتكون منـه الوحـدة ، فالساعة تتكون من الدقائق والشهر يتكون من الأيـام وليس الساعات . والقرن يتكون من السنين وليس من الشهور . فما السبب في الجدل حول بدايات القـرن وهل هو سنة ٢٠٠٠ أم سنة ٢٠٠١ ؟ .. إننـا لـو نظرنا إلى القرن الحادي و العشرين فإن سنته الأولى تبدأ في ٢٠٠١ حتى العام ٣٠٠٠ أمـا سـنة ٢٠٠٠ فهي السنة الأخيرة من القرن العشرين حتى يكتمـل القرن مائة سنة. وإذا كنا نريـد أن نحتفـل بالعـام

٢٠٠٠ فلا بأس أن نحتفل ونحن نحتفل بكل سنة تأتي ولكن لا يجوز أن نحتفل ونقول إن هذه السـنة هـي بداية للقرن الحادي والعشرين .

(٩)

السنة صفر

السنة صفر تسبب لدي الـبعض مـن المفكـرين مشكلة ، فإن حسابها في القرن والألفية يزيد القرن أو الألفية سنة كاملة . ولو أنها تُحسـب فـي المواليـد والوفيات والسكان باعتبارهم لم يستكملوا سنة علـى الوفاة أو بعد الميلاد أو عند العد للسكان . فـالمولود الذي يبلغ من العمر دقيقة هو فرد من السكان حتـى يبلغ من العمر أقل من سنة فلا يزال ينـدرج تحـت السنة صفر. فإذا كان عند تعداد السكان سـنه عامـاً كاملاً فيدخل تحت فئة العمر سنة . ويدخل تحت هذه السنة من كان عمرهم سنة فأكثر وأقل من سنتين .

والسنة صفر نافعة في حساب معدلات المواليد والوفيـات باعتبارها حوادث حيوية تدل على تقدم الخدمات الصحية أو انحسارها وزيادة الوعي الصحي أو نقصه . فكلما كان تقديم الخدمات الصحية متوفراً أو كان الوعي الصحي زائداً قلـت الوفيات بل انخفضت المواليد والعكـس صـحيح . وهنـاك معدلات أكثر تعمقاً في الحساب مثـل معـدل المواليـد أو

الوفيات الخاص ويبني على أساس النسبة بين مواليد جـنس معين (ذكر أو أنثى) أو دين أو منطقة معينة والسكان مـن نفس التصنيف . وهذه المعدلات مؤشرات تدل على تطور المواليد والوفيات حسب النوع أو الدين أو المنطقة إذا قورنت السنة مع الأخرى . وفي السنة صفر يمكن جدولة المواليد أو الوفيات حسب الشهر : يناير فبراير حتى ديسمبر وبمقارنـة كل شهر تظهر موسمية المواليد والوفيات . ومدى ارتفاع أو انخفاض المواليد والوفيات من شهر إلى آخر .

السنة صفر تستعمل بكثرة في علم السكان. أما في علـم الزمن فالزمن يبدأ من السنة الأولى في القرن الأول أو فـي الألفية الأولى . وإذا بدأنا من السنة صفر في القـرن الأول فسوف ينتهي القرن عند السنة ٩٩ في ذلك القرن . إذ تكون المائة سنة قد اكتملت ، لذلك يبدأ الزمن من السـنة الأولـى وينتهي عند السنة المائة . ولا تحسب السنة المائة في القرن الثاني لأنها تكملة القرن الأول . أما الشهور السابقة على السنة الأولى أي السنة صفر فهي تنتمي إلى السـنة السـابقة التي قد تكون شهوراً أو قد تكون مائة أو مـائتين أو ١٩٠٠ أو ٢٠٠٠ . وميلاد السيد المسيح عليه السلام لـيس هـو

بداية السنة الأولى الميلادية إنما هو بدايـة السـنة صـفر . وهجرة الرسول صلي الله عليه وسلم ليست هي بداية السـنة الأولى من الهجرة إنما بداية السنة صفر . فهل الصفر يدخل في الحساب عند عد السنوات ؟ ..

(١٠)

السكان في حالة الصفر

من مؤشرات النمو – تقـدماً وتخلفـاً – معـدل المواليد .. وهو نسبة المواليد إلى السكان في الألـف في بلد معين في زمن معين . وكلما كان ذلك المعدل مرتفعاً دل ذلك على التخلف . وكلما كان ذلك المعدل منخفضاً دل ذلك على التقدم .

لقد اتجهت الدول الأوربية إلى تخفيض ذلـك المعـدل . ويكتشف ذلك التخفيض من خلال مقارنة معدل سنة بمعـدل السنة السابقة عليه أو السـنوات السـابقة عليـه . . وقـد استطاعت بعض الدول الأوربية تخفيض ذلك المعدل لدرجة أن بلغ مستوى الزيادة الطبيعية للسكان صفراً أو أقـل مـن ذلك . بمعنى أن عدد المواليد مطروحاً منه عـدد الوفيـات أدت إلى نتيجة أن لا نمو هناك . وإذا حدث أن انخفض عدد المواليد عن عدد الوفيات صار هناك ما يسمى بالنمو السلبي أو انكماش السكان . وقد لاحظت بعـض الـدول الأوربيـة

انكماش سكانها فصارت تدفع إعانات لمن ينجب طفلاً فأكثر تشجيعاً على زيادة السكان .

أما دول العالم الثالث فقد أفرطت في المواليد ، وتحسـنت لديها الظروف الصحية فقلت الوفيات وبذلك صارت معدلات الزيادة الطبيعية ترتفع عاماً بعد آخر . ولو أن بعضاً منهـا حث المواطنين بها على وقف أو تنظيم الإنجاب . وأخـذت الصين منذ فترة من الوقت باتجاه أن الأسرة الصغيرة هـي الأسرة الفضلى . وكان مفهوم الأسرة الصغيرة في البدايـة أنها الوالدان وطفلان . ثم أصبح هذا المفهوم أنها الوالـدان وطفل واحد . وبذلك تتمكن الصين من تخفيض عدد سكانها الذي فاق المليار . وتحاول الهند أن لا تصل إلى ذلك بفضل أساليب تنظيم الأسرة لدرجة أنها أخذت بالتعقيم في فترة من الفترات .

إن النتيجة النهائية لزيادة المواليد على الوفيات وبالتـالي ارتفاع الزيادة الطبيعية ، أن تكون البلاد معرضة لأزمـات في المستقبل . والشعب في غنى عنهـا . فهـؤلاء المواليـد الجدد سوف يحتاجون فيما بعد إلـى مـدارس ابتدائيـة ثـم إعدادية ثم ثانوية ومكان في الجامعات وبعد ذلك سيحتاجون

إلى فرص للعمل يعملون بها . وناهيك عن المأوى والكسـاء والضغط على المرافق العامة وعلى الخدمات . ومـن أجـل ذلك يطالب السياسيون وغيرهم بتنظيم الأسرة والوصول إلى الحد من المواليد إلى مولود أو مولودين فإن النمو سـيتوقف وسنصل إلى ما يسمى السـكان الصـفري Zero Population فكيف الوصول إلى ذلك المستوى ؟ .

تلعب السياسات السكانية في هذا المضمار دورها . هناك من يتبع من الزوجين أساليب طبيـة كاسـتعمال اللولـب أو الحبوب أو الحقن للمرأة أو الواقي الذكري أو التعقيم (لجأت إليه الهند رغم خطورته على حياة المواطن الجنسية) أو ما يسمى فترة الأمان . وهناك من يرفع سن الزواج فلا يتزوج إلا بعد الثلاثين . وقد تساعد على ذلك الضائقة الاقتصـادية وتتمثل في أزمة الإسكان أو التضخم أو ارتفـاع الأسـعار للسلع المعمرة والاستهلاكية والمهور . حينئذ ينخفض عـدد المواليد ويقترب من عدد الوفيات فتكون الزيـادة الطبيعيـة صفراً أو أقل من الصفر قليلاً أو أزيد منه ، مما يؤدي إلـى انكماش السكان .

ومثلما لا ندعو إلى زيادة الوفيات فإننا لا ندعو أيضاً إلى منع انفراج الأزمة الاقتصادية ، إننا ندعو إلى الاستمرار في تحسين الظروف الصحية والاقتصادية ، وعلى الـزوجين أن يتبعا الطرق الطبية .حتى يصـلوا إلـى مسـتوى الأسـرة الصغيرة .

(١١)

الأخطاء المطبعية

هناك في الحاسب الآلي ، وهو الذي تكتب به الصـحف اليومية على ما أعتقد ، مدقق إملائي ومدقق للأخطاء النحوية ، وقد يساعد ذلك المدقق الطـابع علـى تلافـي الأخطـاء الإملائية والنحوية إلى حد كبير . ولعل السرعة في إخـراج الجريدة لا تسمح باللجوء إلى ذلك المدقق . وقـد يتغاضـى الطابع عن وجود هذا المدقق رغم توافر الوقـت . وعلـى العموم فإن الأخطاء المطبعية على أساس السبب فيها نوعان . بعضها يرجع إلى المؤلف نفسه عندما لا يكون على دراية كاملة بقواعد النحو والصرف ، فتجد البعض من المؤلفين لا يحذف حرف العلة من الفعل المضارع المعتل عند الجزم أو ينصب الفاعل ويرفع المفعول مثلما يحدث أن يقـال أخـذني رجلاً من يدي ، والصحيح أن يقال أخذني رجل من يدي فقد يظن الكاتب في الجملة الأولى أن الفاعل هـو أنـا مـع أن الفاعل هو الرجل لذلك لم يرفع كلمة رجل .

وقد ترجع الأخطاء المطبعية إلى طابع الكلمة نفسه . ففي العبارة التي أوردها الإذاعي طنطاوي البحطيطي على أساس

أنها خطأ وقع فيه الأستاذ الكبير / ثروت أباظة وذلـك فـي بريد الأهرام في ٢٠ / ١٢ / ١٩٩٩ والتي جاء فيها بينمـا عمر بن الخطاب جالساً . وتفسير ذلك أن الطابع قد اسـقط كلمة كان سهواً منه أو بسبب السرعة في الكتابـة فتصـبح الجملة بينما كان عمر بن الخطاب جالسا . وبهذه المناسـبة أذكر مرة أنني كتبت في روايتي الأولى العبارة المشهورة في الأدب " لم ينبس ببنت شفة " فوجدت الطابع قد حولها إلى لم ينبث ، فلما صححت له الكلمة في المراجعة الثانيـة أهمـل التصحيح وطبع الكتاب وبه لم ينبث ، ففي هذه الحالة سوف يرجع القارئ الخطأ إلى المؤلف وليس إلى الطابع ، وهو – في هذه الحالة - ينزه الطابع عن الخطأ ويرمي الخطأ على المؤلف . وعلى العموم فإن اللغة العربية بها مـا يسـمح أن يكون هناك حال مع المبتدأ مثلما يقال " فاروق ملكًا أو جمال رئيسا " . ولا تتصور مقدار الندم الذي يلحق بالمؤلف حينما يكتشف خطأ في مقالة كتبها سواء كان له يد فيه أو لا يد لـه فيه . وقد سمعت عن مؤلفين أو كتاب لا يقرؤون ما يكتبونه مرة ثانية بعد طبعه . ربما ليتفادوا هذا الشعور بالأسى الذي يتولد من اكتشاف مثل هذه الأخطاء .

(١٢)

أمام التلفزيون

بعد انتهاء العمل والعودة إلى البيت يتسمر الإنسان أمـام التلفزيون ، فيمكن أن يبدأ بالقناة الكويتية برائعة أسامة أنور عكاشة الجديدة لما التعاب فات . ثم ينتقـل إلـى قنـاة ART ليرى تمثيلية يوميات ونيس الجزء الخامس . ثم ينتقل بعـد انتهاء الحلقة إلى قناة mbc ليرى تمثيلية أبو العلا البشري ٩٠ لأسامة أنور عكاشة أيضاً ويضطر لرؤيتها إذا كانت قد فاتته رؤيتها في الأعوام السابقة . ثم بعد ذلك ينتقل إلى قناة النيل الدولية ليرى التمثيلية الجديدة على الحلوة والمرة . وبعد ذلك قد يشاهد الأخبار ثم غنائيات وابتسامات على mbc وقد ينتقل إلى القناة المصرية الفضائية ليشاهد الفـوازير ثـم تمثيليـة أوراق مصرية (ولا اعرف هل كانت المرأة المصرية يمكن أن تعمل في الصحافة اعتباراً من عام ١٩١٤ كما جاء فـي التمثيلية أم أن المؤلف أدخل ذلك في التمثيلية حتـى يؤكـد مشاركة المرأة في الحركة الوطنية) . ثم ينتقل المتفرج بعد ذلك إلى lbc ليشاهد تمثيلية الابـن الضـال أو قـد يشـاهد

سامحوني ما كانش قصدي على القناة المصرية ثـم يسـمع أخبار العالم على أحد القنوات . ثم يتسلم التمثيلية المدبلجـة كونسويلو على llbc (وهي تمثيلية مدبلجة مكسيكية سبق أن تم تناول قصتها في تمثيلية مدبلجة أرجنتينيـة تحـت اسـم سجينة أمي مع تغيير في الأحداث الفرعية دون الأساسية) . وينتقل بعد انتهائها إلى التمثيلية الجديدة لنجـدت إسـماعيل أنزور واسمها رمح النار على mbc . ثم بعـد ذلـك يكـون المتفرج موزعاً بين رؤية تمثيلية مرايا ٢٠٠٠ للممثل القدير ياسر العظمة على mbc أو ينتظر قليلاً ليرى الفوارس علـى قناة أبو ظبي أو عائلة ٨ نجوم (وكل سنة يرفعونها نجمة) على art ثم ينتقل المتفرج إلى قناة الشـارقة ليـرى تمثيليـة جديدة قديمة اسمها الإعصار يمثلها فاروق الفيشاوي ويقـوم بدور الوصولي الانتهازي الأناني إلى آخر تلك الأوصاف . ثم قد يختتم رؤيته على القناة التلفزيونية المصرية بمشـاهدة تمثيلية أم كلثوم . وإذا أراد أن يستكمل الرؤيـة فـي أيـام الأربعاء والخميس من كل أسبوع فيمكنه مشاهدة المزيد .

من هذا نستنتج أن التلفزيون هو أفيون الشعوب الجديـد ، فهو يعطل القراءة – قراءة الكتب أو حتى الصـحف - وإذا

كان الإنسان يكتب فسوف يعطله عـن كتابـة المقـالات أو القصص . وفي رأي الزوجات أنه معطل لزيارة الأسـواق وشراء الحاجيات فكان الله في عون الإنسـان فـي القـرن الحادي والعشرين وليجعله مقاوماً لهذه العادة السـيئة فهـل يكون العلاج بتخفيض ساعات الإرسـال التلفزيـوني أم أن يكون للإنسان إرادة من حديد تجعله يقلع عن هـذه العـادة السيئة

(١٣)

سنة ٢٠٠٠ هي نهاية القرن العشرين

أثناء عودتي من عمرة بمكة المكرمة ، شاهدت في السيارة التي تقلنا من مكة المكرمة إلى الرياض ، تلك الساعة الرقمية . فتساءلت لم لا أقوم بعمل نتيجة رقمية للسنة والقرن والألفية حتى يكتشف القارئ ما إذا كانت سنة ٢٠٠٠ هي بداية للقرن العشرين أم هي نهاية للقرن الحادي والعشرين .. وهكذا تكون تلك النتيجة هكذا ٠٠:٠٠٠٠ فتكون الخانتان الأوليان للشهور ثم الخانة الثالثة للسنوات والخانتين التاليتين للقرن وهو مائة سنة أما الخانة الأخيرة فهي للألفية وهي ألف سنة وليس ٩٩٩ سنة . وما بين القرن الأول والقرن الثاني تكتب النتيجة ١١ : ٠٠١٠٠ ونهاية القرن الأول ستكتب ١١:٠١٩٩ ثم في القرن الثاني : ٠٢٠٠ ٠٠ فإذا بلغنا الألفية الأولى ستُكتب ٠٠ : ٠٠١١٠٠ والألفية الثانية ٠٠:٠٠٢٠٠٠ ونحن الآن في الشهر الأول من عام ٢٠٠٠ فيكتب كالآتي ٠١:٠٠٠٢ فإذا بلغنا شهر نوفمبر فإن كتابة التاريخ ستكون كالآتي ١١ : ٢٠٠٠ وبعد ذلك تبدأ السنة الجديدة وتكون مكتوبة كالآتي ٠٠ : ٢٠٠١ وعندها

تبدأ الألفية الثالثة وذلك أعتباراً من أول يوم في الشهر الأول وتنتهي الألفية عند ٠٠:٠٠ ٣٠٠٠ .. فألا تدل هذه الطريقة على أن سنة ٢٠٠٠ هي نهاية القرن العشرين وأن سـنة ٢٠٠١ هي بداية القرن الحادي والعشرين لأن الألفية ألف سنة وليس ٩٩٩ سنة .. أرجو أن أكون قد أوضحت .

(١٤)

الخلع والإبراء

" كده بقى .. أي واحد فينا يتجوز ولما يزهق من مراتـه يزهقها في عيشتها .. لغاية ما تطلب الخلع وتبقـى جـوازه ببلاش . " هذه العبارة تدل على ضحالة الثقافة لدي الشـباب وهي عبارة ترامت إلى سمع الدكتور شوقي الساهي عنـدما كان سيلقي محاضرة على الشباب (الأهـرام فـي ٨ / ١ / ٢٠٠٠) . من أين جاءت هذه الضحالة ؟ .. جـاءت مـن وصول المعلومات مشوشة للشباب . فالرجل له حـق فـي طلاق زوجته فلم يزهقها حتى تطلـب الخلـع ؟ .. الخلـع يحدث في حالة تمسك الرجل بامرأته وهي لا تريد أن تستمر حياتهما الزوجية . فالخلع أمر يخص الزوجـة ولا يخـص الزوج . وهي التي تطالب به . ثم يقـول القائـل " وتبقـى جوازه ببلاش " فكيف تكون زيجة مجاناً إذا كانـت المـرأة سوف تدفع الخلع ؟ .. أهو في استرداد الرجل من المرأة ما دفعه لها ؟ .. أفهم أن الرجل يرهق امرأته في عيشتها حتى تطلب منه الطلاق وتبرؤه من كل ما عليه لها كالنفقـة والمتعة و المهر المؤجل . وليس يهدف إلـى الخلـع . إن

العبارة التي سبق قولها تدل على أن الشاب الذي أطلقهـا لا يفهم في القانون الجديد للأحوال الشخصـية ولا حتـى فـي القانون القديم . ومـن هنـا يبـرز دور الإعـلام المرئـي والمسموع والمقروء في توسيع الأذهان وتنميتها .

الغريب أن هناك ثورة ضد الخلع ولم يكن هناك ثـورة ضد ما يسمى الإبراء وهو أقسى من الخلع لأن الزوجة فيـه لا تسترد شيئاً فلم كانت الثورة على الخلع والسـخرية منـه وليس هناك ثورة على الإبراء ؟ .. هل لأن الرجل يريـد أن يستغل المرأة ويجردها من كل حقوقها ويستحل ما لها مـن حقوق ؟ .. أعتقد ذلك . إن الرجل يريد دائماً أن يكون فـي موقف متميز مثله مثل أي طاغية . وحان الوقت حتى يتجرد الرجل من أنانيته وجبروته وصلفه .

(١٥)

الإمام الأعظم

هناك تمثيلية مسلسلة تعرض الآن علـى قنـاة الشـارقة الفضائية اسمها الإمام أبو حنيفة النعمان . وتبدأ بأغنية تُغني عند عرض الأسماء تقول الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمـان وأعتقد أن الإمام الجليل لو سمع ذلك لأمتعض فقد ظهر فـي التمثيلية متواضعاً ويعرف قدر نفسه فلم نشوه فيه هذه الصفة ؟ ..

ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الحوار يدور باللغة العربيـة الفصحى ولكن كل الممثلين لا يعطشون الجيم ، والحق يقال إنهم يعطشونها عند قراءة الآيات القرآنية الكريمة فما السبب ؟ .. ولم النطق بطريقتين ؟ .. يبدو أن ذلك يرجع لأن أغلب الممثلين ينطقون الجيم دون تعطيش في الحياة العادية وهـم من سكان القاهرة . أما لو كانوا قادمين من الوجهين البحري أو القبلي فإن لهجتهم العامية يسودها تعطيش الجيم مثلما هي الحال في مواطني سوريا ولبنان ودول الخليج العربية . فهل نتوجه إلى هؤلاء الممثلين وغيرهم بمراعاة اللغة العربية في المستقبل نطقاً أثناء أدائهم أدوارهم في المسلسلات العربيـة

التاريخية وأن يراعوا تعطيش الجيم سواء في الحوار العادي أو عند نطق الآيات القرآنية . ليس عيباً أن يستعين المخرج بمصحح للنطق ومصحح للتاريخ أيضاً حتى يكـون الإتقـان نبراساً للجميع .

(١٦)

الإرهاب

ذهلت فعلاً من وصف رئيس وزراء فرنسا في جامعة بير زيت في فلسطين للمجاهدين من حزب الله بأنهم إرهابيون . فماذا كان الفرنسيون في الحرب العالمية الثانية حينما كـانوا يناضلون ضد الاحتلال الألماني لبلادهم ؟ .. هل تراهم كانوا إرهابيين هم الآخرين ؟ .. وماذا كان يمكن أن يسمي البطل القومي شارل ديجول حينما لجأ إلى بريطانيا وأسس هنـاك حكومة في المنفى وناضل ضـد الألمـان وطغيـان هتلـر واستبداده ؟ .. هل كان ذلك الرئيس إرهابياً لأنـه يناضـل ويحارب الاحتلال الألماني ؟ .. مـن المؤسـف أن يصـف رئيس وزراء فرنسا المجاهدين في صفوف حـزب الله فـي لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي بهذا الوصـف ولا يعـرض لوصف الإسرائيليين الذين يحتلون التراب اللبناني دون وجه حق . ويبدو أن رئيس الوزراء يؤيد في نفس الوقت وزيـر خارجية إسرائيل دافيد ليفي في حرق لبنان ؟ .. مـن الـذي أعطاهما تلك القدرة على التفوه بذلك الألفاظ المقيتة ؟ ..

ما بال الأقوياء والمسنودين من الأقويـاء يعيثـون فـي الأرض فساداً سواء بالكلمة غير الطيبـة أو بالفعـل غيـر الموفق ؟ .. والشاهد على ذلك هذه المشـاهد الداميـة فـي الشيشان فروسيا المتفككة لم تكتف بغزو الشيشان والسـيطرة عليه إنما قامت بحرق الأرض (كما يريد أن يفعل ليفي في لبنان) وخسف حقوق الإنسان فيها ولعل أقويـاء العـالم لا يزالون يدعون أن مواطني الشيشـان هـم مجموعـة مـن الإرهابيين ! .. لقد أصبحت كلمة الإرهاب كلمة ممجوجـة لأن كل معتد أثيم صار يستعملها ضـد أعدائـه المطـالبين بحقوقهم منه .

(١٧)

الإعلان عن الكتب

كثيراً ما أتساءل عن جدوى الإعلان عن الكتب ؟ .. هل الإعلان عن كتاب – أي كتاب – يمكن أن يحدث له رواجا؟ .. هل إذا كان هذا الكتاب غالي الـثمن ، لا يـتمكن الفـرد العادي بدخله الضئيل أن يشتريه يحثه الإعلان على اقتطـاع جزء من دخله ليشتريه ؟ .. وهل لو كان الكاتـب مشـهوراً فيفعل الإعلان فعل السحر ويجعل الإنسان يهرع لشرائه ؟ .. لا الإعلان .. ولا الشهرة .. يمكن أن يروجا من الكتـب .. إن الأمية وانخفاض الدخول وعدم التعود على القراءة اليومية الدائبة أسباب لمنع رواج الكتب . ربما يكون انخفاض ثمـن الكتاب سبباً في رواجه لكن ليس هو السبب الرئيسي ، فمادام أن نسبة الأمية مرتفعة (٥٠ % في الـذكور و٧٥ % فـي الإناث) ومادام أن الدخول منخفضة تُصرف علـى المأكـل والملبس والمسكن . ومادام أن التلميذ لم يتعود منذ الصـغر على القراءة ، فلن يروج كتاب مثلما يحدث في الدول الغربية بأن تُباع منه الملايين من النسخ . وسوف تعود أغلب النسخ

إلى دار النشر لتوضع في المخازن حتى يعلن أمين المخزن أنها تُلفت . وتتحول بعد ذلك إلى تراث .

وليس معنى ذلك هو الامتناع عن الإعلان عن الكتب الجديدة ، ولكن المعنى هو عدم الإفراط في الإعلان خاصة إذا كان الكتاب غالي الثمن . واعتقد أن على الناشر تخفيض ثمن الكتاب بدلاً من الإعلان عنه خاصة إذا كان الإعلان مدفوع الأجر .

(١٨)

قلة أدب في المرور

هذه قصة عن قلة الأدب في المرور أرويها لكم ، هي عن طريق مفتوح من شارع رئيسي إلى شارع جانبي . ومقفول بلافتة ممنوع الدخول من الشارع الجـانبي إلـى الشـارع الرئيسي . غير أن السائقين لا يهتمون بهذه اللافتة . يـأتون من الشارع الجانبي إلى الشارع الرئيسي ، يعبرون الطريـق بينهما ولا أهمية عندهم باللافتة المعلقة بممنـوع الـدخول . وحينما يدخلون من الشارع الجانبي يواجهـون فـي بعـض الأحيان بسيارات قادمة من الشارع الرئيسي تريد العبور إلى الشارع الجانبي أو تريد الوقوف على جانبي الطريـق . ولا يهتمون . ففي رأيهم أن القادم عليه أن يعود إلى الخلف رغم خطورة هذه العودة حتى يفسح لهم الطريـق إلـى الشـارع الرئيسي . وإذا لم يتقهقر القادم من الشارع الرئيسي يعطـل القادم من الشارع الجانبي المرور في الطريق حتى يتراجع .

ونادراً ما يكون عنده ذوق فيعود إلى الشارع الجانبي ويسمح للقادم بالمرور .

وحدثت حادثة في هذا الطريق المفتوح المقفـول ، فقـد جاءت سيارة من شمال الشارع الجانبي مسـرعة بأقصـى سرعة تريد أن تنفذ من الطريق إلـى الشـارع الرئيسـي . وسيارة أخرى مسرعة تريد النفاذ من الطريق إلى الشـارع الجانبي . وسيارة ثالثة مسرعة هي الأخرى آتية من يمـين الشارع الجانبي فتتصادم السيارات الثلاثة . ويخرج سـائق الأولى من سيارته والدم ينزف من أنفه وقد تهشمت السيارة من اليمين و من الشمال . وتنكسر عجلة السيارة القادمة من الشارع الرئيسي فتتوقف في مكانها عنـد ناصـية الشـارع الجانبي . بينما السيارة الثالثة تتحطم واجهتها وتكـاد تكـون جسداً بلا وجه .

في اليوم التالي يأتي قادم من الشارع الجانبي ولا يـرى الزجاج المهشم الذي يملأ الشارع ولا السـيارات المحطمـة التي نُقلت من الشارع الجانبي . يدخل السائق مـن الشـارع المذكور الممنوع الدخول منه إلى الشارع الرئيسي . وسائق آخر كان واقفاً في الطريق بين الشـارعين يريـد الخـروج

فيتقهقر السائق الأول لأنه قريب من الشارع الجانبي ، فيفتح السائق الثاني زجاج سيارته ويخاطب السائق الأول بـأدب ، ويروي له حادثة الأمس ، ويشير إلي اللافتـة التـي تؤكـد ممنوع الدخول في الشارع . فيقول له السـائق الأول وهـو ينفذ من الشارع الجانبي إلى الشارع الرئيسي بوقاحة : كـان من المفروض أن تُعين شرطي مرور في هذا الشارع . ولا يهتم السائق الأول بلافتة ممنوع الدخول . ولا يغيـر اتجـاه سيارته فيمضي في الشارع الجانبي حتى يجـد منفـذاً إلـى الشارع الرئيسي .

(١٩)

حل المجالس النيابية والقوانين غير الدستورية

أصدرت المحكمة الدستورية العليا حكمها بجلسة ٨ يوليو سنة ٢٠٠٠ بعدم دستورية ما تضمنه نص الفقرة الثانية مـن المادة (٢٤) من القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ قبل تعديلـه بالقانون رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٠ من جواز تعيين رؤساء اللجان الفرعية من غير أعضاء الهيئات القضـائية . وقد ذكر المستشار زكريا شلش في أهرام ٢١ يولـيـو سـنة ٢٠٠٠ في باب مع القانون أن حكـم المحكمـة الدسـتورية سالف الذكر يسري على انتخاب مجلس الشـورى وحـالات الاستفتاء إلا أن التشكيل الحالي للمجلس أو الاستفتاء الذي تم بناء على هذا النص المقضـي بعـدم دسـتوريته لا يلحقـه البطلان لأنه لا يوجد طعن في بطلان تشكيل مجلس الشورى بالنسبة للمنتخبين من أعضائه استناداً إلى عدم دستورية نص المادة (٢٤) فقرة ثانية . وبسبب عدم تطرق الحكم الصادر من المحكمة الدستورية إلى انتخابات مجلـس الشـورى أو الاستفتاء . وأنه أقتصر في أسبابه علـى بطـلان انتخـاب مجلس الشعب .

ولكن رئيس الجمهورية عرف أن هنـاك حكمـاً بعـدم دستورية المادة (٢٤) فقرة ثانية . وهـو السـاهر علـى مصالح الأمة وأن هذه الفقرة أوقف تطبيقها لحـين تعـديلها طبقاً لقرار المحكمة الدستورية ، لذلك قام بإصـدار قـرار بقانون طبقاً لصلاحياته الدستورية وعرضه علـى مجلـس الشورى باعتبار أن ذلك القانون من قوانين الانتخاب أي من القوانين المكملة للدستور ووافق على ما جاء فيه من تعديل ، وعرضه على مجلس الشعب ، فوافق على ما جاء فيه مـن تعديل ومن ثم فليس أمامه إلا تعديل الواقع بما يتفق وذلـك القانون . وهو أن يحل مجلس الشورى ويجـرى انتخابـات لإعادة تشكيله طبقاً للقانون بمعنى أن يشرف القضاء علـى انتخابات المجلس الجديد .

أما مجلس الشعب فإن هذا هو الفصل التشريعي الأخير له ومن ثم تم فض الدورة الأخيرة وهي دورة استثنائية ووافـق فيها على تعديل المادة المذكورة وسوف تجـرى انتخابـات المجلس طبقاً للتعديل الجديد في نـوفمبر لاختيـار أعضـاء مجلس الشعب الجدد . وكذلك يكون تشكيل المجالس المحلية

طبقاً للمادة (٢٤) فقرة ثانية قبل تعـديلها تشـكيلاً غيـر دستوري مما يوجب إعادة تشكيلها بانتخابات جديدة .

ولا مشاكل في الواقع . فالمادة ٢٠٤ من دستور جمهورية مصر العربية تنص على أنه لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشورى إلا عند الضرورة ويجب أن يشمل قرار حل المجلس على دعوة الناخبين لإجراء انتخابات جديدة لمجلـس الشورى ولا يجاوز ستين يوماً من تاريخ صدور قرار الحل . فألا يعد قيام مجلس الشورى علـى أسـاس نـص غيـر دستوري ضرورة ، والضرورة هنا دفع الضرر عـن الأمة بأن يحكمها مجلس قام على أساس غير شرعي أو نص باطل . لذلك يحق لرئيس الجمهورية حل مجلـس الشـورى لقيام تلك الضرورة . وعلى العموم فالمادة ٢٣ من القـانون ١٢٠ لسنة ١٩٨٠ تنص في فقرتها الأخيرة على أن يتـولى رئيس مجلس الوزراء أثناء حل المجلسين (مجلسي الشـعب والشورى) جميع الاختصاصات المالية والإدارية المخولـة لمكتبي المجلسين ورئيسيهما .

أما حل مجلس الشعب فإن المادة ١٣٦ من الدستور تنص على أنه لا يجوز لرئيس الجمهورية حل مجلس الشـعب إلا

عند الضرورة وبعـد اسـتفتاء شـعبي . ويصـدر رئـيس الجمهورية قراراً بوقف جلسات المجلس وإجراء الاسـتفتاء خلال ثلاثين يوماً . فإذا أقرت الأغلبية المطلقة لعـدد مـن أعطوا أصواتهم الحل أصدر رئيس الجمهورية قراراً به .

لكن لم يبق إلا شهور ثلاثة وبضعة أيام وينتهي مجلـس الشعب بقوة القانون فأليس الانتظار حتى يقفل مجلس الشعب أبوابه وتبدأ الانتخابات خيراً مـن إجـراء اسـتفتاء يكلـف الجماهير تكاليف الاستفتاء الضخمة . أليس من الأوفـق أن يترك للناخبين انتخاب مجلس جديد دون ما حاجة إلى إهدار هذه الأموال التي يتكلفها الاستفتاء ؟ ..

(٢٠)

أكره الكسر

لا أدري السبب في أننا نعتدي على اللغة العربية من فترة لأخرى . منذ زمن بعيد ظهرت شركة " المقاولون العرب " وصحتها " شركة المقاولين العرب " . هل كانـت الـدنيا ستخرب لو كان اسمها متفقاً مع اللغة العربية ونحوها ؟

وفـي أهـرام ٢٣ / ٧ / ٢٠٠٠ إعلانـاً عـن " قريـة الدبلوماسيون التجاريون " فما المانع أن تسمى باللغة العربية الفصحى " قرية الدبلوماسيين التجاريين " هل ضمها فيه رنة جميلة وأفخم من كسرها الذي فيه رنة نشاز ؟ .. وعلى بعد صفحات إعلان آخر عن مدينة الدبلوماسيين . لغـة سـليمة مائة في المائة . فهل الدبلوماسيون التجاريون يحاولون تقليد المعلم محمد رضا رحمه الله حينما كان يحرف في اللغـة ، ولكنه كان يمثل دور الجاهل وكلنا نعرف أن شركة المقاولين العرب وقرية الدبلوماسيين التجاريين أبعد عن الجهل .

لقد أخطأ التلميذ القروي يوماً أمام مدرس اللغة العربية فلم يجر الكلمة المسبوقة بباء الجر وإنما نصبها تـارة وضـمها

تارة أخرى فقال له المدرس غاضباً إن الباء تجر جاموسة .
فلما ذهب إلى الحقل وجد جاموسة ترعى فطفق يقول لهـا :
باء .. باء .. لعله يجرها ، ولكنها لم تتحرك . فهل هـؤلاء
يقلدون التلميذ القروي ؟ .. كأن حال قولهم يقـول : أمـوت
وفي قلبي عشق للضم وكره للكسر . ولكننا نطالبهم بالضـم
والنصب والكسر في موضعه .

(٢١)

الفتنة والقنابل الموقوتة

يقول الدكتور نبيل بباوي لوقا بشأن تعديل الدستور فـي مقال له في جريدة الأهرام في ١٠ /٨ / ٢٠٠٠ إن المنـاخ العام لا يسمح بتغيير الدستور لأنه ليس له الأولوية في مجال كفاحنا الوطني .

ويقول أيضاً إن بعض مواد الدستور تحمل فـي داخلهـا قنبلة موقوتة من الممكن أن تنفجر في أي وقت إذا وجـدت من يحركها فهي فتنة نائمة لعن الله من أيقظها .

ويقول أيضاً إن الدستور المصري تغير في الخمسين سنة الأخيرة حوالي عشر مرات . ولا توجد دولة في العالم تغير دستورها بهذا العدد من التغييرات .

وهي حجج ضده الدكتور وليست معه .

فمسألة أن المناخ العام لا يسمح بتغيير الدستور يثير عدة أسئلة . إن الدستور هو لباس الأمة إذا كان لا يناسبها فيجب أن تخلعه . فإذا كان واسعاً أو ضيقاً فهو سيحيل صورة الأمة إلى صورة بهلوان لا يعرف رأسه من قدميـه . والدسـتور

القائم نفسه تغير بإرادة الحاكم ولا دخل في التغيير في إرادة المحكومين . فحينما أمر الرئيس السادات أن يكـون هنـاك أحزاب عدلت المادة الخامسة من الدستور . وحينما أراد أن يكون هناك مجلس شورى وسلطة رابعة اسمها الصحافة كان له ما أراد . وكان وقتها المناخ العام لا يسمح بتغيير الدستور . كان هناك الإرهاب لا يـزال رضـيعاً . وكانـت الفتنـة مستيقظة وتحاربها الدولة . وكان هناك عجز في الموازنـة العامة . وكانت هناك المشاكل التي أشار إليها الدكتور نبيـل قائمة وهي نقص السيولة – قلـة الصـادرات المصـرية – وعجز الميزان التجاري وميـزان المـدفوعات – ومشـاكل الإسكان . ورغم ذلك تم تعديل الدستور باستفتاء عـام بنـاء على اقتراح رئيس الجمهورية وموافقة ثلثي مجلس الشـعب ولم تحدث اضطرابات في المجتمع المصري .

أما أن هناك بعض المواد التي تحمل في داخلهـا قنبلـة موقوتة ، فكيف نجد مثل هذه المواد في دستورنا ولا ننـزع فتيل القنبلة حتى يبطل مفعولها . ونزع فتيـل الانفجـار لا يكون إلا بتعديل المادة لا بتركها تنفجر في أي لحظـة . إن تعديل الدستور يتطلب موافقة الشعب على التعديل في استفتاء

عام . فهل إذا وافق الشعب تنفجر القنبلة أم أن ذلـك يبطـل مفعولها ؟ ..

أما أن ندع الفتنة نائمة دون أن نستأصل شأفتها فذلك أمر لا يصدقه عقل . فلسنا نعاماً نضع رؤوسـنا فـي الرمـال لنتفادى الخطر . يجب أن تكون الإيجابية حياتنا . يجـب أن يتم وأد الفتنة في مهدها ، ولا نكن سلبيين ونتركها نائمـة . وأرجو ألا يقال إن الوأد حرام . ففي هذه الحالة هو الحـلال بعينه .

ومن أين جاء الدكتور نبيل بأنه لا توجد دولة في العـالم تغير دستورها بهذا العدد من التغييرات . أعتقد أن الدستور لو كان مفروضاً فإن تعديله سوف يكون لأكثر من مرة حتى يرتاح الشعب وهو يسير في طريق الكفاح . وأعتقد أيضاً أن كل دول العالم تقوم بتغيير دساتيرها مادامت تتطلب التغيير . فدول أوربا الشرقية غيرت دستورها قبل الشـيوعية وبعـد انهيارها حتى روسيا . وإلا لما كانت فيها أحزاب . وكـان يحكمها حزب واحد هو الحزب الشيوعي .

وفرنسا غيرت دستورها في سنة ١٩٤٦ وسـنة ١٩٥٨ . بل غيرت الدستور الأخير ليكون انتخاب رئيس الجمهوريـة

فيه بالانتخاب المباشر . وأمريكا أيضاً أدخلت تعديلات كثيرة على دستورها منذ استقلالها عن بريطانيا . وإسرائيل قامت بتعديل دستورها وجعلت رئيس الوزراء (الوزير الأول) بالانتخاب . ثم عدلت التعديل وأعادت الوضع إلى ما كان عليه . ولم يحدث أن انفجرت قنبلة موقوتة في إسرائيل رغم أنها مليئة بالمتناقضات .

إن تعديل الدستور سوف يحرك المياه الآسنة في حياتنا الاجتماعية والسياسية . وسوف تصطرع الآراء بدلاً من أن تصطرع الأيادي . وسوف تُناقش النظريات جهراً بدلاً من مناقشتها بصفة سرية . وسوف يحدث تجديد في الفكر السياسي لم تشهده البلاد من قبل . والأمر الأول والأخير لرضا الشعب ، فإن أقر التعديلات تم تنفيذها ، وإن رفضها سقطت وذهبت إلى طي النسيان . فلا داعي لتخويف الناس من الفتنة والقنابل الموقوتة فالأمة متماسكة وستظل متماسكة لا يشتتها رأي ولا تبعثرها أفكار .

إن المطلوب الآن أن يأمر السيد الرئيس بأن تؤلف لجنة من جهابذة الشعب بغض النظر عن الانتماء الحزبي أو الديني أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، وتنظر إلى التعديلات

الواجبة على الدستور لتتماشى قواعده مع التطورات الحادثة في بلادنا سواء كانت سياسية أو اقتصـادية أو اجتماعيـة ، وتعرض مقترحاتها على رئيس الجمهوريـة . فـإذا وافـق فيعرض الأمر على مجلس الشعب للبت فيه . فـإذا وافقـت أغلبية الثلثين على المقترحات عرضت على الشعب للاستفتاء فيها .

(٢٢)
أين الحقيقة ؟ ..

منذ زمن بعيد ، وأنا أريد أن اكتب لك في هذا الموضوع ، كنت أريد أن أقول لكم إن كتاب في جريدة لا يرفق بجريدة الأهرام في عدد الأربعاء من أول كل شهر عند توزيعه فـي بعض البلاد العربية . فما السبب ؟ .. قيـل لـي إن بـلاد المهجر (ولا اعلم ما إذا كان بلداً واحداً أم عدة بلاد) تمتنع عن إلحاقه بالعدد . وقيل أيضاً إن جريدة الأهـرام ذاتهـا لا ترفق الكتاب في النسخ الموجهة إلى الدول العربية لأن هناك صحفاً من هذه البلاد تصدر الكتاب مع طبعتها . فأين الحقيقة ؟ .. ولا أعرف ما إذا عاد الشخص إلى مصر يتمكن من أن يجد هذه الكتب لدي جريدة الأهرام (١٢ كتاباً في السنة) أم أنه يتم دشتها مع النسخ المرتجعة وتسلم إلى المصانع لإعادة تصنيعها ورقاً .

أقترح أن يتم طبع الكتاب في حجم متوسط حتى يـتمكن الشخص من الاحتفاظ به في مكتبته ، ويباع لمـن يريـد أن يشتريه ، بسعر زهيد ، مثلما تُباع كتب القراءة للجميع . ولا بأس أن يتم تجليده بغلاف ، لا أقول فاخراً ، إنمـا غـلاف مقبول ، ويباع منفرداً عن الجريدة . مع استمرار صـدوره

مع جريدة الأهرام بالمجان في أول كل شهر في يوم الأربعاء وذلك لصالح أهل الكنانة أهل مصر .

أما بالنسبة لهؤلاء الذين لا يصلهم الملحـق فـي الـبلاد العربية فيمكنهم اقتناء ذلك الكتاب متوسط الحجم عند عودتهم فلا يضيع عليهم ، فهل يأخذ اليونسكو والجرائد المنضمة إليه بهذا الاقتراح ؟ ..

(٢٣)
السنة والقرن والألفية

في يوم ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٠ تنتهي سنة ألفين . وفي ذلك اليوم ينتهي القرن العشرون . وفي ذلك اليوم أيضاً تنتهي الألفية الثانية

أما في يوم ١ / ١ / ٢٠٠١ فتبدأ سنة ألفين وواحد . وفي ذلك اليوم يولد القرن الحادي والعشرون . وينتهـي فـي ٣١ / ١٢ / ٢١٠٠ وفي ذلك اليوم أيضاً تبدأ الألفية الثالثة وتنتهي فـي ٣١ / ١٢ / ٣٠٠٠ .

وهكذا لا يجوز للمتشائمين أن يجروا تأبيناً لسنة ألفين أو نهاية القرن العشرين أو نهاية الألفية الثانية إلا في ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٠ . ويجوز للمتفائلين أن يحتفلوا لسنة ألفين وواحد وبداية القرن الحادي والعشرين وبداية الألفية الثالثة في يوم ١ / ١ / ٢٠٠١ .

أرجو ألا ينبري أحد الفلاسفة ويقول : لا .. بل كان ذلك مـن عام مضى ، وهذا خطأ لأن من عام مضى لم تكن سنة ألفين قـد اكتملت . كانت لا تزال تنمو ناقصة عدد من الأيام حتى تكتمـل . ولم يكن القرن العشرون قد اكتمل كان (٩٩) سنة . ولـم تكـن الألفية الثانية قد وصلت إلى نهايتها كانت (١٩٩٩) سنة فقط .

(٢٤)

البدوي والنقاش والعقاد

قال الأستاذ رجاء النقاش في مقاله الأسبوعي في أهـرام يوم الأحد الموافق ١٤ يناير ٢٠٠١ " من المؤسف أن يكون صاحب الاقتراح بضرب العقاد هو الدكتور / عبد الـرحمن بدوي . وأن يعترف في مذكراته بذلك ويعترف فيمـا يشـبه الفخر والاعتزاز .

وفي نهاية المقال يقول : لو أخذنا بمبدأ الـدكتور بـدوي لقلنا إنه يستحق على ما كتبه عن العقاد علقة سـاخنة فهـل هناك من يتطوع بتنفيذ هذه العقوبة ضد الدكتور بدوي فـي مقر إقامته الدائمة في فندق كاليفورنيا باريس ؟ . .

فكيف إذن كان ينتقد الدكتور لأنه حـرض اثنـين علـى ضرب العقاد ؟ .. وكيف يتسق ذلك مع تحريض القراء على ضرب الدكتور ؟ .. وكيف ينادي بأن يخجل الدكتور عـن ذكر هذه الحادثة ويعتذر عنها ، ويحرض الآخـرين علـى ضرب الدكتور في مقره الدائم بفندق بباريس ؟ .. أليس فـي ذلك تناقضاً ؟ .. اعتقد أن ما قاله الأستاذ كـان مـن قبيـل الفكاهة ، أما لو كان جاداً لا يمزح ولا يقـول إلا الحـق ،

فأرجو أن يعرف أن الجرائم في القانون المصري تسقط بالتقادم ، وقد مضى على واقعة الضرب – أو جريمة التحريض على ضرب المفكر – أكثر من ستين سنة ، فلو كانت جريمة قتل عقوبتها الإعدام لسقطت بالتقادم مرتين لا مرة واحدة . فكيف يعاقبه على جريمة سقطت بالتقادم ؟ ..

وإذا كان رجاء النقاش يستنكر أن يضرب العقاد فكيف يحرض على ضرب الدكتور ؟ .. أرجو – مثلما طلب من الدكتور عبد الرحمن بدوي أن يعتذر على اندفاعه وتحريض الآخرين على ضرب العقاد ، أن يعتذر عن التحريض على ضرب الدكتور . إننا نريد أمة متحضرة تتصارع فيها الأفكار لا الأيادي .

(٢٥)

البطالة

قال الدكتور / صدقي قرني صدقي في بريد الأهرام فـي ٢١ يناير ٢٠٠١ إن النسبة العامة للبطالـة علـى مسـتوى الجمهورية هي ١٠ % ، ومعنى هذا أن هناك ٦,٥ مليـون مواطن عاطل على اعتبار أن عدد السكان في مصر قد بلـغ ٦٥ مليون نسمة .

ولكن نسبة البطالة لا تقاس بهذه الطريقـة بنسـبة عـدد العاطلين إلى السكان إنما تقاس بنسبة عدد العاطلين إلى عدد القوى العاملة ، ونظراً لأن قليلاً من النساء من يشتغلن فـإن ما يسمى معدل النشاط الخام (وهو عـدد القـوى العاملـة منسوباً إلى عدد السكان) يبلغ عادة ٢٨ % من السكان . أي أن مجموع القوى العاملة يبلغ ١٨,٢ مليون نسمة . ومن ثم فإن حساب معدل البطالة يكون بنسبة عدد العاطلين إلى العدد الأخير .

المشكلة هي في معرفة عدد العاطلين ، وتختلف التعريفات من بلد إلى آخر ومن تعداد إلى آخر . . ولا يكون العدد هو

نفس العدد في التعداد الشامل أو التعداد بالعينة . وليس عـدد العاطلين مساوياً في لحظة معينة هي يـوم التعـداد كعـدد العاطلين وفقاً لإحصاءات البطالة المتدفقة يومياً كما لـو تـم النظر إلى الإحصائيات السنوية لمكاتب القوى العاملة ، وهي تجميع لعدد المسجلين العاطلين عن العمل ، ولو أنها لا تشمل كل العاطلين عن العمل .

وإذا كانت النسبة العامة للبطالـة - كمـا أذاع الجهـاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء - هي ١٠ % من مجموع القوى العاملة فإن معنى ذلك أن عدد العـاطلين يبلـغ ١,٨ مليون نسمة ، وليس ٦,٥ مليون نسمة كما جاء بالهمسة .

إن مشكلة البطالة تكمن في وجود عرض مـن القـوى العاملة لا يتناسب مع الطلب على القوى العاملة سواء كماً أو كيفاً . والعلاج هو إيجاد هذا التناسب بين العرض والطلب . لذلك يكون العلاج في تهيئة الطلب علـى القـوى العاملـة للعرض منها أو تهيئة العرض للطلب . فإذا كـان الوضـع يخص الحالة الأولى فإن ذلك يتطلب تعديلاً فـي سياسـات التعليم والتدريب والمشروعات وفرص العمل والأجور . وإذا كان الوضع يخص الحالة الثانية فإن ذلك يخص سياسـات

تمويل المشروعات وأساليب الإنتاج . والأمر في هذه الحالة يدخل في ضرورة التنسيق بين تخطيط التعلـيم والتـدريب والقوى العاملة والتمويل والمشروعات وإنشاء فرص العمل . أما لو سار الأمر معتمداً على الصدفة فإن مشـكلة البطالـة سوف تتفاقم وتتفرع إلـى مشـكلات . إن المطلـوب هـو امتصاص فائض العمالة وسد العجز فيهـا بصـفة دوريـة وبنشاط سريع .

(٢٦)
مبدأ الفصل بين السلطات

يسألون عن مبدأ الفصل بين السلطات ، وأنا في هذه الهمسة أجيب : إن مبدأ الفصل بين السلطات في القانون الدستوري يقتضي أن تستقل كل سلطة بأعضائها عن السلطة الأخرى ، فلا يجوز للوزراء أن يكونوا أعضاء في السلطة التشريعية ، ولا يجوز لأعضاء هذه السلطة أن يكونوا من الوزراء . لكن هذا المبدأ غير مطبق بحذافيره ، إنما تطور في بعض النظم الدستورية مثل النظام البرلماني ، وتطبيقه الفعلي في بريطانيا . وقد تحول فيه ذلك المبدأ إلى أن صار يعرف بمبدأ التعاون بين السلطات . وفيه يكون رئيس الدولة يسود ولا يحكم ، وفيه يختار رئيس الدولة زعيم الحزب صاحب الأغلبية في عدد المقاعد بالمجلس التشريعي (مجلس العموم في بريطانيا) . وهذا الزعيم هو الذي يحكم وهو رئيس مجلس الوزراء ويقود السلطة التنفيذية مع وزراء. ورئيس مجلس الوزراء أو الوزير الأول كما يسمى في بريطانيا يختار أعضاء الوزارة من أعضاء البرلمان ذاته . وفي الدستور البريطاني يجب أن يكون الوزير عضوا في

البرلمان ، ولا يقبل في الوزارة الوزير الذي لا يكون عضوا ، بل يجب أن يفقد وظيفته لو فقد العضوية . لكـن الحـال مختلف في مصر فلا أهمية لأن يكون الوزير عضـوا فـي مجلس الشعب ويجوز أن يكون الوزير غير منتم إلى الحزب الحاكم .

وأوجه التعاون بين السلطات في ذلك النظام تنشـأ مـن خلال إمكانية رئيس مجلس الوزراء حل البرلمان . أو مـن خلال أن يراقب المجلس التشريعي أعمال الحكومة ويسحب الثقة بالوزير الأول أو أحد الـوزراء فـي حالـة ارتكـاب مخالفات سياسية . فمثل هذه التصرفات مرفوضة في نطـاق مبدأ الفصل بين السلطات ، لذلك عمل الفقهاء على الحد من غلواء ذلك المبدأ من خلال الأعمال الأساسية المشار إليها .

أما في مبد أ الفصل بين السلطات فإن السلطات مسـتقلة إحداها عن الأخرى فلا يجوز أن يكـون المـواطن قاضـياً ووزيراً في نفس الوقت ولا يجوز أن يكـون عضـوا فـي المجلس التشريعي ووزيراً في نفس الوقت أو قاضياً وعضوا في المجلس التشريعي في آن واحد . وهو ما يعرف بالنظام الرئاسي حيث يسود الفصل بين السلطات ، ولكن تسرب إلى

ذلك النظام بعض القواعد التي تبيح التعاون بـين السـلطتين التشريعية والتنفيذية . كما هو الحال في الولايـات المتحـدة الأمريكية فمثلاً يجب اعتماد الكونجرس للوظائف العليا عند التعيين كاعتماد تعيين السفراء . أو قيام الكونجرس برقابـة أعمال الحكومة من خلال لجان التحقيق . أو قيـام الـرئيس بإعداد موازنة الحكومة دون تدخل كبير من الكونجرس . أو تعيين قضاة المحكمة العليا في الاتحاد .

ونعتقد أن من المفيد أن يتم الفصل بين السلطات فلا يكون الوزير عضوا في البرلمان ولا يكون عضو البرلمان وزيراً وذلك حتى يتفرغ العضو والـوزير لأعمالهمـا . ودسـتور مصر الصادر عام ١٩٧١ لا يوجب أن يكون الوزير عضوا في البرلمان ومن ثم فلا يكون الوزراء مطـالبين بخـوض المعارك الانتخابية . ولكنها خصلة في الإنسان أن يكون لـه أكثر من وظيفة وأكثر من عمل . يتباهى به أمام النـاس ولا يؤمن بالتخصص لأن في التخصص تقليل من الشأن ومـن الأبهة ومن الفخامة .

(٢٧)
مقابلة رئيس الدولة والوزير الأول

في الكوكب " نورس " تمت مقابلة رئيس أكبر دولة في الكوكب ورئيس وزراء الدولة الوحيدة التي تستعمر أرض بلد آخر في ذاك الكوكب .

قال الرئيس : أنا لن أتدخل في القضية . لقد تدخل سلفي وهاأنت ترى النتيجة فشل ذريع . لا زالت المناوشات بينكما على أشدها. هم يلقون عليكم الحجارة وأنتم ترشقونهم بالرصاص وتقذفونهم بالصواريخ وتهدمون منازلهم . كأنهم عصافير يلعب بها صياد .

قال الوزير الأول مغتصباً الضحكة : هذا رائع ألا تتدخل . أترك لنا نكسر جماجمهم . وحينما يركعون تتدخل أنت كحمامة السلام ، لتعتمد شروطنا . فإذا انتفضوا من جديد ، تعلن أنك فضضت يدك من القضية ، لأنها قضية تدور في حلقة مفرغة .

سأل الرئيس : ومتى تنتهي هذه القضية ؟ ..

أجاب الوزير الأول : أترك لي مهلة ثلاثة شهور . أكسر فيها عظامهم . وأهدم بيوتهم . وأشردهم . وسوف أجعلهم يأتون راكعين .

سأل الرئيس : ألن تكون هناك عقبات ؟ .. ربما جيرانهم لن يسمحوا لكم بذلك .

ضحك الوزير الأول وهو يقول : إنهم حفنة من الدول النائمة . ليس في مقدورها إلا أن تشجب . وتصرخ . وتتصنع الاتحاد . لكنها لا تفعل شيئاً .

قال الرئيس : أتعرف أنكم آخر الدول المستعمرة . وأننا نحميكم لأننا نرى شبابنا فيكم . كنا مثلكم سفكنا وقتلنا ودفنا أهل هذه الأرض ، لكننا الآن وضعنا أيدينا عليها . وانزوى أهلها الأصليون في مخيمات بعيدة في الصحراء التي لا فائدة ترجى منها .

قال الوزير الأول معترضاً . حقاً . لكن هذه الأرض التي مددنا عليها نفوذنا كانت لنا منذ آلاف

السنين ، والآن استولينا عليها بالحرب . رغم أنكم تنكرون الاستيلاء على الأراضي بالحرب ، ولكنها في الواقع أرضنا نعيدها إلى قبضة يدنا .

قال الرئيس : لولا أننا ننكر على شعبها الأصلي أن يكون شيئاً لما سمحنا لكم بضمها . ترى هل لو كان فيها أحد أعراقنا كنتم ادعيتم ما ادعيتم . لكن في النهاية نحن نساندكم لأنكم منا ونحن منكم . وما عليك إلا أن تبدأ حينما تعود .

قال الوزير الأول فرحاً : لا تخش شيئاً . لا تخش تضامنهم . ولا تخف من اتحادهم . ما داموا مجردين من السلاح ولا صوت لهم في المجتمع الدولي فنحن سوف نجعلهم يركعون .

قال الرئيس : أخشى عليكم من إيمانهم بحقهم ، فكم من أمم في الماضي آمنت بحقها ، وتمكنت من استرداده .

(٢٨)

صرف الوقت

على طريقة برنامج من سيربح المليون الذي يعرض على القناة الفضائية MBC فقد سرح بي الفكر إلى العكس ، كيـف تصرف المليون ؟ .. ولما كانت الغالبية العظمى من النـاس لا يستطيعون صرف مليون جنيه وجدت أن أسـهل عمليـة صرف هي صرف الوقت . كيف تصرف مليون ساعة مثلاً ؟ .. وحتى في الساعات وجدت أن الإنسان لا يصرف هـذا الوقت لأنه لا يعيش ذلك الزمن .

إذا حسب المرء مليون ساعة كم تساوي فهـي تسـاوى ٤١٦٦٧ يوم أي ١٣٨٩ شهراً أي ١١٦ سنة تقريباً . فهـل يصرف الإنسان في حياته ١١٦ سنة ؟ ..

إن متوسط توقع العمر عند الميلاد قد يكون ٦٥ سنة . أي ٧٨٠ شهراً أي ٢٣٤٠٠ يوماً أي ٥٦١٦٠٠ ساعة . أي أن الإنسان من المتوقع أن يعيش أكثر من نصف مليون ساعة . وهكذا لا يستطيع أن يصرف مليون ساعة لأنه لن يعيش هذه المليون . ربما لو كان محظوظاً فسوف يعيش نصف مليون ساعة فقط .

ثلث هذه الساعات يقضيها نائماً أي حـوالي ٢٢ سـنة . والثلثان يقضيها متيقظاً . الثلث منها أي ١٤ سنة يقضيها في العمل لو وفق إلى عمل . وربما أقل لأنه يبدأ العمل من سن ١٥ سنة على الأقل وفي بعض الأحيان ١٨ سـنة فـأكثر . والباقي يقضيه خارج العمل يأكل ويستحم ويلبس ويتزين أو يقرأ ويكتب . وقد يجلس في المقهى يلعب النرد أو الشطرنج أو الدومينو ويدخن السيجارة أو الشيشة ، أي يحيا ويصرف الوقت بلا فائدة يجنيها . وهذه الساعات تزيد على ٢٩ سنة . فهكذا يصرف الإنسان نصف مليون ساعة من عمره . . إنه يبدد معظمها وبعضها قد يفيده أو يفيـد الإنسـانية . ولكـن هؤلاء الذين يفيدون الإنسانية قلة .

(٢٩)
جسم سرطاني

احتلال الأراضي بالقوة تباركه الدول الكبرى . والدليل على ذلك أن الأمم المتحدة أُنشئت ولا تزال فرنسا تستعمر بعض البلاد وعلى رأسها الجزائر . وبريطانيا تستعمر فلسطين ومصر وغيرهما من المستعمرات . وكانت أمريكا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تدعو للحرية ، ولا تعترض على استعمار الدولتين الكبيرتين وتغض الطرف عنه . ولم تكن روسيا تختلف عنهما فكانت تسيطر على دول أوربا الشرقية إيديولوجيا ولم تكن تترك لها الحرية أو السيادة على أراضيها . وكانت الصين في ذلك الوقت منبوذة من الدول الأربعة ، ومثلتها فورموزا أو الصين الوطنية في مجلس الأمن إلى أن اقتلعت من عداد الدول الكبرى وحلت محلها الصين الشعبية .

وكان الصهاينة في ذلك الوقت يتآمرون مع بريطانيا ليغتصبوا فلسطين ويحتلوا أرضها ، وتركت بريطانيا أرض فلسطين للصهاينة ، ولم تحاول أن تفض النزاع بين الفلسطينيين أصحاب الأرض والإسرائيليين مغتصبي الحقوق بكافة أنواعها .

المهم أن الاستعمار انحسر عن العالم ، وشـجبته الـدول الكبرى جميعها ، وتخلت عن مستعمراتها في جميع أنحـاء العالم حتـى الاسـتعمار الألمـاني والإيطـالي والبلجيكـي والبرتغالي انتهى . ونادت الـدول الكبـرى بالحريـة والديمقراطية وحقوق الإنسان للشعوب . ولا تزال إسـرائيل تحتل فلسطين وتغتصب حقوق أصـحابها . وتبـارك ذلـك الاغتصاب الدول الكبرى دون حياء ، بـل احتلـت سـيناء والجولان والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان . واسـتمرت الدول تبارك هذا الاحتلال وتجد في فعلة إسـرائيل الشـنعاء استرداداً لحقوق الصهاينة وإعادة لأراضيهم التي فقدوها منذ آلاف السنين كما يزعمون .

واستمرت إسرائيل في غيها حتى اندلعت حرب أكتـوبر فكبدتها الكثير في المعدات والأفراد فانسحبت . ولم ترتـدع إسرائيل في جنوب لبنان إلا حينما كبدتها المقاومة الخسـائر فانسحبت . فهل يجب استعمال القوة معها حتى ترتدع ؟ . . لعل الانتفاضة الآن تساعد على إيقاظ ضمير شعبها ليطالـب بالانسحاب من أراضي اغتصبتها بالقوة .

لم يكذب الساسة في القول حينما قالوا إن إسرائيل جسـم سرطاني في الوطن العربي ، وحتى الآن لم يكتشف الدواء الناجع لاضمحلال السرطان والقضاء عليـه . . واعتقـد أن الدواء الناجع يكون مفعوله في انكماش السـرطان وتوقـف مهاجمته للجسم وإيقاف فاعليته ؟ .. فكيف يكون ذلـك مـع إسرائيل ؟ .. وهل ترضى إسرائيل أو الـدول الكبـرى أن تنكمش إسرائيل وتتوقف عن العدوان والاغتصاب والاستيلاء على حقوق الآخرين حتى تبقى . إنها ترفض ذلك لأن فيـه مقتلها .

(٣٠)
كتاب شهري

أرى أن يكون تكريم الأحياء من النبهاء قبل موتهم أمـر واجب ، وذلك بنشر إنتاجهم الأدبي قبل وفـاتهم ، فحينمـا يتوفى أحد كبار الكتاب ، وهو ينتمي إلى دار معينة ، تطبـع مقالاته في كتاب تكريماً له . ومن أمثلة ذلـك مـثلاً كتـاب الدكتور شكري عياد " القفز فوق الأشواك " فقد جمعت بـه مقالاته عن نقد بعض الكتب والروايات التي كان قـد كتبهـا لمجلة معينة . وأتساءل لم لا تكرم الدور المختلفـة أبناءهـا وهم لا يزالون أحياء ، فلو قامت دار الأهرام مثلاً بإصـدار كتاب شهري يتضمن مقالات أحد كتاب الكبـار بهـا ومـا أكثرهم فألا يعد ذلك تكريماً لهم . ولا يجوز أن يتوقف ذلـك الكتاب الشهري لأن ثمرته متاحـة بصـفة أسـبوعية ، لأن الكتاب الكبار يكتبون بصفة أسبوعية مقالاتهم . ويكفي تجميع عشرين مقالة لكاتب واحد ، لتكون كتاباً يقـع فـي مـائتين صفحة من الحجم المتوسط . ومثل هذا الكتاب فيـه تجميـع لفكر الكاتب ويمكن للباحثين الرجوع إليه وقت اللـزوم . إذ من المستحيل على مدار أربعين سنة أن يحـتفظ الشـخص بالجرائد اليومية حتى يمكنه الرجوع إلى مقالة معينة فـذلك

يحتاج إلى أن يكدس في بيته ١٤٦٠٠ جريدة لكن يمكنـه أن يضع في مكتبته ٤٨٠ كتاباً .

ولن أطمع في أكثر من ذلك بأن أقـول مـثلاً أن يتبنـى الأهرام إصدار كتاب شهري آخر يضم رواية أو مجموعـة من القصص سواء لكبار الروائيين أو القصاصين أو لأدبـاء تمكنوا أن تكون لهم مكانة في مجال الأدب وذلك لأن مثـل هذا الكتاب سيكون قليل التوزيع . لن أطمع في ذلك ولـتكن تلك خطوة يخطوها الأهرام بعد عشر سنوات مـثلاً حينمـا تختفي الأمية من مصر ونرى في وسائل المواصلات العامة السهلة والميسرة من يقطع الطريق يقرأ في كتاب أو روايـة حتى يصل إلى محل عمله أو محل إقامته .

(٣١)

المقاومة بالعلم

تؤرقني مشكلة استرداد الأرض الفلسـطينية لأن الـدول الكبرى تقف وراء إسرائيل تساندها وتدعمها بالمال والسلاح والمعدات والحضارة المدمرة أيضاً . وأمريكا تنحـاز إليهـا حتى لو كانت على خطأ بـل وتبـرر لهـا أخطاءهـا . إن المفاوضات من أجل السلام تحولت إلى عمل فاشل لم يسـفر عن شيء إلا القليل . والأرض لا تزال مغتصبة والحقوق لا تزال مهدرة والبشر لا يزالون يقاومون الظلم والخداع وكلام المفاوضات مدهون بالانتصارات إذا ما خرج إلـى النـور تلاشت الانتصارات ، وأنكشف أن الكلام ثرثرة ليس إلا .

كيف تُحل المشكلة ؟ ..

هل تكون بالاندماج مثلاً . تندمج إسرائيل وفلسطين فـي كيان واحد . ويصبح الشعب مصدر السلطات بلا تفرقة بين الجنس أو الدين أو اللون أو غيرها من عناصر التفرقة . إن إسرائيل لن ترضى لأن العنصر اليهودي يظن أنه عنصـر متفوق يحكم ولا يحكم . كما أن الفلسـطينيين لـن يرضـوا

بالاندماج لأنهم يعرفون أن اليهود لا كلمة لهم وقد يجورون عليهم بعد أن تخضع كل البلاد لهـم ويعـاملونهم معاملـة المواطن من الدرجة الثانية .

إذن لا حل إلا أن يكون كل كيان مستقل عن الآخر . لكن إسرائيل لن ترضى بذلك ولن تجبرها الدول الكبرى على أن ترضى بذلك لأنها تخشى علـى أمنهـا وأن تقـوى شـوكة الفلسطينيين ويبدؤون في الحرب استرداداً لأرضهم المغتصبة .

لا يوجد هناك غير المقاومة لأن المفاوضات فشلت . ولا تتعهد إسرائيل بشيء إلا وتنكص عهودها . تريد أن تستعمر الأرض ولو تمكنت لطردت كل الفلسطينيين .

وقد جرب الفلسطينيون المقاومـة بالحجـارة وبالهـاون وبالرصاص وبالتفجيرات . غير أنها لم تسفر إلا عن ضحايا شهداء . ولا سبيل أمامهم إلا المقاومة بلا عنف . كيف ؟ .. المقاومة بالعلم . المقاومة بالتقدم . المقاومـة بـالنمو الاقتصادي والمالي . المقاومة بالدعوة إلى تحجيم إسـرائيل ودعوة الدول الكبرى إلى وقف مؤازرتها لهـا . المقاومـة بوقوف الدول العربية معها تمدها بالعلم والنمو الاقتصـادي

والمالي وفرض كيان العرب على العالم كله مثلما كان الحال في العصور الوسطى . إننا لا نريد أن تكون هنـاك أنـدلس أخرى تضيع ولا تتدخل الدول العربية لنجدتها .

(٣٢)

أبو الدنيا

قال الفتى لجدته : إذا كانت مصر أم الدنيا فمن هو أبوها ؟ ..

قالت الجدة بخبث : أنت تعرف سيدنا عيسى عليه السلام ؟ ..

هز الفتى رأسه وهو يقول : بن سيدتنا مريم عليها السلام .

قالت الجدة : من كان أبوه ؟ ..

ارتبك الفتى وهو يقول : ليس له أب لأن الله نفخ فيها من روحه .

قالت الجدة : وهكذا الدنيا لم يكن لها أب وكان لها أم هي مصر .

ثم صححت الجدة كلامها بقولها : يا بني إن أم الدنيا تعني أصل الدنيا . وقد قيل ذلك عن مصـر لأنهـا أصـل كـل الحضارات التي ظهرت على الأرض .

قال الفتى : ولكن سمعت في القنوات الفضائية أن بعـض البلاد تدعي أنها أصل الحضارات مثـل سـوريا والعـراق والهند والصين .

قالت الجدة متحيرة : المسألة تعتمد على الآثار التاريخية يـا بنى . وكل بلد تتباهى بأنها سبب نشر الحضارة قبل الأخرى .

قال الفتى لجدته ضاحكاً : ولكنى عرفت أن الدنيا لها أب ؟ .

قالت الجدة منبهرة لأن حفيدها يفكر : ومن هو يـا حفيـدي المفكر ؟ ..

قال الفتى : إنه الأمريكي .

سألت الجدة : وكيف كان ذلك ؟ ..

قال الفتى : يريد الأمريكي أن يتبنى كل دول العالم حتـى يصبح أبا للجميع . وعليهم بعد ذلـك واجـب الطاعـة وأن يأتمروا بأوامره ...

قال الجدة : لقد كبرت يا بنى .. وأصـبحت تـتكلم فـي السياسة .

(٣٣)

الموسيقي العنيفة

المخرجون العظام هم الذين يديرون الصور المتتابعة في أفلامهم وتمثيلياتهم دون موسيقي أو بلا موسيقى تصويرية عنيفة . وإذا لزم الأمر لدواعي شد أعصاب المشاهد إلى الفيلم أو التمثيلية . على أن تكون هذه الموسيقى في وقت لا حوار فيه . أقول ذلك لأني أشاهد تمثيلية على أحد القنوات الفضائية ترتفع فيها الموسيقى بشكل يطغى على الحوار فلا يفهم المشاهد ما يجري في الحوار ولا ينتبه المشاهد إلى الموسيقى العنيفة .

الموسيقى العنيفة أشبه بالحرب حيث لا يريد مشعل الحرب أن يدير حواراً مع من يهاجمه . فالحرب موسيقى تصويرية عنيفة لا فائدة منها إلا الدمار والخراب . وكثير من الحروب جرت دون أن يذعن الطرف المحطم إلى الطرف المهاجم . وقديماً قيل إن القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود . لكن ثبت الآن أن البيت الأبيض لا ينفع في اليوم الأسود . بل زاد الأمر سوءاً وتغلب عليه حب الأصوات العنيفة : أصوات القنابل والرصاص ، على

الأصوات الهادئة : أصوات الحوار والمناقشات . ويبـدو أن بوش الابن يريد أن يقلد بوش الأب . فالثاني حطم العـراق والأول يريد أن يحطم أفغانستان المحطمـة فعـلاً . ويبـدو الاثنان كالفتوة عاكسه طفل صغير فأمسك به وطفق يضربه ويعذبه ويقتص منه لأنه هاجمه والطفـل الصـغير يتحمـل الضربات في عناد وقلة عقل .

إذا طلبنا من المخرجين أن يبثوا الموسـيقي التصـويرية هادئة وأن يتوقفوا عن بثها عنيفة أثناء الحوار حتـى يفهـم الحوار ، فإننا نطلب من مدبري الحروب أن يكفـوا عنهـا ويلجئوا إلى الحوار فهو خير وسيلة للسلام والأمان والأمن . وإذا كان هذا الطلب موجهاً إلى أمريكا ، فهو أيضاً موجـه إلى بنت أمريكا أو صنيعتها .

(٣٤)

المبادئ والسكوت

لعل المرء يتساءل إلى ماذا تهدف إسرائيل من هذا الهجـوم الوحشي على الفلسطينيين وبهذا التدمير المستمر وذلك القتل الذي لا يهدأ ؟ .. قد يتبادر إلى الذهن أن إسرائيل تريـد أن تبيد الشعب الفلسطيني عـن آخـره ولا يبقـى إلا الشـعب الإسرائيلي على وجه الأراضي الفلسطينية ؟ .. ولكن إذا كان ذلك هدفها فإن عقول رؤسائها تكون ساذجة للغاية . كم سنة تحتاج إسرائيل لإبادة الشعب الفلسطيني ؟ .. إذا كانت سوف تقتل فلسطينياً واحداً كل يوم فهي تحتاج إلى ١٢٣٢٩ سـنة تقريباً . أما إذا كانت قد وضعت خطة لإبادة خمسة وعشرين فرداً كل يوم . ولا أهمية عندها للأطفال أو النساء أو الشيوخ أو حتى الشباب . فسوف تحتاج إلى ٤٩٣ سنة . وذلك مـع افتراض أن نمو الفلسطينيين توقف لكن هـذا الافتـراض لا أساس له من الصحة . إنها حتى لـو قامـت بإبـادة مائـة فلسطيني كل يوم فسوف تحتاج إلى ١٢٣ سنة . فهل سيسكت العالم - مثلما هو ساكت الآن - خلال هـذه السـنوات ؟ ..

وهل سيقبل إبادة شعب بأكمله بهذه السهولة ؟ . . ربما كـان في الماضي من الممكن إبادة الشعوب بسهولة دون تدخل أحد مثلما قام الأمريكان الأوائل بإبادة الهنود الحمر في أمريكـا سكان القارة الأصليين وسكت العالم ولم يعترض .

ربما إسرائيل تريد ترويع الشعب الفلسطيني حتى يخضع مثلما تروع أمريكا الآن الشعب الأفغاني حتى يطيع ويسـلم أسامة بن لادن ؟ .. أو أن يكف الشعب عـن المقاومـة .. مقاومة الاحتلال والمطالبة بحريتـه واسـتقلاله ؟ .. لكـن إسرائيل تعيش في غمامة ولا تقرأ في كتب التاريخ ، فهـل تمكنت فرنسا من الاستمرار في احتلال الجزائـر ؟ .. هـل تمكنت بريطانيا من مواصلة احتلال الهند ومعظم دول العالم النامية الآن ؟ .. إن الاستعمار انحسر تماماً . وتشكل بشكل جديد واصبح اقتصادياً . لكن حتى ذلك الاسـتعمار تحـاول الشعوب أن تتحرر منه .

الغريب في الموضوع أن الغرب الذي يتشـدق بـالحقوق والحريات ويلوك أغنية أنه صانع الحضارة لا ينكـر علـى إسرائيل همجيتها أو وحشيتها أو تسلطها على مقادير شـعب أعزل من السلاح ولولا هذه المقاومة المستمرة مـن جانبـه

لكسحته إسرائيل في ثوان . وحتى هذه المقاومة يبخل الغرب على الشعب الفلسطيني بها ويطالبه بضبط النفس وإلا اعتبر إرهابياً ، ولا يطالب إسرائيل بالخروج مـن الأرض التـي احتلتها غصباً وعدواناً . كيف تستقيم مبادئ المساواة والعدل والإخاء مع السكوت عن الوحشية والتدمير والقتل ؟ ..

(٣٥)

النكسة الجديدة

أتصور أنه سيحدث في أفغانستان ما حـدث فـي فـيلم " الإرهاب والكباب " حينما خرج الإرهابي المزعوم مع الناس البسطاء ولم تستطع الشرطة أن تمسك به ، فسـوف تسـقط قندهار في أيدي التحالف الشمالي مسنودة بالقوات الأمريكية . وسوف يدخل قواد التحالف ظافرين يبحثون عن الملا عمر وكذلك تابعه أسامة بن لادن . ولن يجدوا أحداً ربما يكـون أحدهما قد فر متنكراً أو فرا معاً أو لعلهما ينخرطان في سلك المهمشين في الأرض الأغلبية الصامتة من الشعب ولا يدري أحد بهما أو أين مستقرهما . أما باقي الجيش أو القاعدة فما بين أسير وفار ومتخف .

حينما تبدأ أفغانستان في الاسـتقرار ، وتبقـى القـوات الأمريكية في أفغانستان بحجة البحث عن الملا عمر وأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة الذي يكون قد تبخر بعض أفـراده . تبدأ أمريكا تواجه حرب العصابات ، وتحدث نكسة أخـرى مثلما حدثت النكسة الأولى في فيتنام . فلا القوة نفعـت ولا السياسة فلحت في بقاء أمريكا في فيتنـام . والشـعوب لا

ترضى الاستعمار تحت أي مسمى من المسميات . ولسـوف يفقد بوش الابن منصبه بسبب حرب أفغانستان مثلمـا فقـد بوش الأب منصبه بسبب حرب العراق . (ولو أن ذلك لـم يحدث) .

إن الدول الكبرى لا تتعظ أبداً من الأحـداث . تحركهـا المصالح ، والمصالح لو تعرفون مدمرة في بعض الأحيـان خاصة إذا كانت مشوبة بالطمع والجشع .

(٣٦)

سكان العالم

في تقرير الأمم المتحدة عن الموقف الاجتماعي للعالم في عام ٢٠٠٠ . جاء في الفصل الأول من الجزء الأول نظـرة عامة إلى سكان العالم . ومن تلك النظرة يتضح أن بانتهـاء الألفية الثانية سوف يبلغ عدد سكان العالم ٦ بليون نسـمة . وهذا يمثل أكثر من مثلي سكان العالم في عام ١٩٥٠ ، فقـد بلغ حينئذ ٢,٥ بليون نسمة . وقد شـهدت الخمسـون سـنة الماضية معدلاً عالياً في نمو السكان لم يحدث من قبل . ولن يحدث مرة أخرى . وقد نتج النمـو العـالي مـن اسـتفادة الإنسانية من المكاسب الملموسة في زيـادة توقـع الحيـاة وأطفال يعيشـون بأعـداد كبيـرة حتـى يبلغـوا مرحلـة النضج . وارتفاع معدل الخصوبة العالمية ولو أنها الآن فـي طريقها إلى الانخفاض . وإذا كانت التنبؤات الحاليـة عـن العدد الإجمالي للأشخاص في للعالم أنه سوف يستمر خلال الخمسين سنة القادمة لكن لن يصل إلى ما وصل إليه معـدل

النمو من قبل . وسيكون عدد سكان العالم المتوقع ٩ بليـون نسمة في عام ٢٠٥٠ .

(٣٧)

الحاج متولي

إذا كان الحاج متولي مريضاً ، فلا يجـوز أن نعتـرض على المؤلف أن يعرض حالتـه علـى الشاشـة فالقصـص الخاصة بالمرضى النفسيين معروفة وتعرض على الشاشة ، ولا تكتب عن الأسوياء فقط إنما تشمل أيضاً غير الأسـوياء وإلا من أين تُستقى العبـر ؟ .. إن القصـص تجمـع بـين الأسوياء وغيرهم كالأشرار والمرضـى وأصـحاب العقـد النفسية والاجتماعية .

ورواية الحاج متولي قد تكون الشرارة الأولى التي توقظ المرأة من سباتها ، وتدفعها إلى الاعتراض على الزواج من رجل متزوج . والوضع القائم في أوربا رغم منـع تعـدد الزوجات هو تعدد العشيقات . بل وصل الأمر بأحد رؤسـاء جمهورية فرنسا أن كان يعيش مع زوجتـه وعشـيقته فـي القصر الجمهوري . فهل إذ تنـاول كاتـب هـذه الواقعـة وصاغها في رواية نعترض عليه ونقول له إن ذلـك محلـه قضايا المحاكم وليس كتب الأدب . أو إذا طورهـا لتكـون

تمثيلية مسلسلة منعنا عرضها بحجة أنها تسئ إلـى المـرأة الفرنسية أو الرجل الفرنسي .

إن تمثيلية عائلة الحاج متولي تبين مدى قدرة المال فـي الخروج على الشرع تحت زعم أن تعدد الزوجات من الشرع ، ذلك لأن الحاج متولي يجتذب النساء لماله وفي نفس الوقت يدعي أن الشرع أعطاه رخصة في ذلك . ولو رجـع إلـى الشرع لتبين له أنه اشترط عليه أن يعدل بين زوجاته وهـو أمر متعذر . لكن في الوقت الحالي كم عدد الرجـال الـذين يجمعون بين مثنى وثلاث ورباع من النساء في وقت واحـد تحت اسم الزواج الشرعي ؟ .. أعتقد أن العـدد قليـل لأن الأغنياء لا هم لهم إلا المتعة بالمال ولا يريـدون لأحـد أن يشاركهم فيه ومتعتهم هي النفوذ والسيطرة والقوة وليس فقط المتع الحسية إلا القليل منهم . والفقراء يمتنعون عـن تعـدد الزوجات بسبب عدم القدرة المالية على الإنفاق على واحـدة فما بالنا باثنتين أو ثلاث أو أربع ؟ ..

لا أعتقد آن التمثيلية لو دارت حول إنسان شاذ تعد عملاً غير أخلاقي . فلو فكر أحد الأدباء أن يكتب قصة مشـابهة لحياة راسبوتين الراهب الروسي الداعر لما أعترض عليـه

أحد . ولو فكر سيناريست أن يكتب عن ذلك الرجـل الـذي تعددت زوجاته حتى تخطى سلوكه حدود الشرع لمـا أنكـر عليه أحد ذلك . بل لو فكر أحد الأدباء أن يكتب عن امـرأة تعددت أزواجها لما لامه أحد مادامت الكتابة في حدود النظام العام والآداب العامة .

وإذا كانت تمثيلية الحاج متولي قد أثارت تقززاً من الرجل المتزوج بأكثر من واحدة فقد أصابت . ولا أظن أن الرجال سوف تقلد الحاج متولي ويهرعون للزواج على الفور فهـم عقلاء يعرفون أقدار أنفسهم .

(٣٨)

قوات طوارئ دولية

إذا كانت قوات الشمال في أفغانستان قد اكتسحت قـوات طالبان فلم قرر مجلس الأمن إرسال قـوة دوليـة متعـددة الجنسيات لحفظ السلام في أفغانستان . والغريـب أن تشـيد الولايات المتحدة الأمريكية بقرار مجلس الأمن وتصفه بأنـه خطوة إيجابية . فمن يحارب من فـي أفغانسـتان . ومـاذا ستفعل هذه القوة الدولية وقد اندحرت قوات طالبان ؟ ..

ولم لا توافق أمريكا - بجلالة قدرها - على الفصل بـين المتنازعين في فلسطين . وهناك فعلاً من يرهـب الأهـالي الآمنة . وهناك من يبيد القرى والمدن . وهناك من يغتال بلا حكمة ولا عدل .

لم نسمع بعد اجتياح قوات الشمال لقوات طالبان أن هناك خللاً في الأمن حتى تقوم القوات الدولية بحفظـه وتحقيـق الاستقرار والنمو الاقتصادي ، لكن سمعنا وشاهدنا خللاً في الأمن في فلسطين من جانب إسرائيل ، فألا يعد هذا الوضع أجدر بالرعاية من بلاد ليس فيها اضطرابات ؟ .

أليست فلسطين الأولى بهذه القوات لمنع تجاوزات جـيش القمع الإسرائيلي . لكن يبدو أن أمريكا - وهي التي تعترض على وجود قوة طوارئ دولية في فلسطين - هـي الوحيـدة التي ترى أن أرض فلسطين وحدة لا تتجزأ وأن الصراعات الداخلية فيها شأن داخلي لا يجوز التدخل فيه كأن فلسطين لم تكن يوماً تحت وصاية الأمم المتحدة . بـل تـرى أن أرض فلسطين خاضعة لإسرائيل ولا يجوز لقوات دولية أن تدخلها .

(٣٩)

العين والتراب

ترى لو تمكن جمع من الفدائيين اختراق منـزل إيريـل شارون في القدس ، وتمكنوا من اقتيـاده خـارج الـدار ، وجردوه من ملابسه وقيدوه ، ومن حوله هذا الصقيع القاتـل الذي يجتاح فلسطين وسوريا ولبنان . وقاموا بتركـه علـى الثرى البارد . ولزم العراء حتى يجده من يجده ويفك قيـوده ومنعوه من الكلام حتى لا يصرخ ويستنجد بحراس بيتـه . وبعد ليل من ليالي الشقاء يعود إلى بيته بعد أن يجد من يفك قيوده . يعود إلى داره بعد أن يتمكن الصقيع منـه ويـدخل البرد في ضلوعه وتحترق أطرافه وتتجمد . هل ترى يفكـر بعد أن ذاق عذاب الصقيع أن يعود إلى هدم ديار الفلسطينيين ، وتشريد الأطفال والنساء والعجائز . هل يعود إلـى هـدم الديار ذلك العمل الدائب الذي يأمر به ولا يتوقف ؟ .. ألـن يحس في ذلك الوقت بأن عمله الذي يأمر به ليس إلا بلاطجة وخال من الإنسانية ويعد إرهاباً بلغة أمريكا الصديق الودود .

أعتقد أنه لو عاد بعد تلك الليلة القاتلة إلى تـدمير بيـوت الفلسطينيين فإن معنى ذلك أنه كتلة من الصخر رمى بها إلى

هذا الزمان لتعذيب الفلسطينيين دهراً ثم تمضي . وليس أمام الفلسطينيين إلا الصبر على جار السوء حتى يرحل أو يموت .

وهل لو تمكن الفدائيون من القبض عليه سيتركونه حياً ؟ .. وإذا تركوه حياً فأعتقد أن كل ما سيحدث له لو ترك فـي الفضاء عارياً وسط الصقيع المميت أنه سوف ينخفض وزنه قليلاً وسيعود من جديد إلى البطش والتنكيل أكثر من ذي قبل . ذلك نوع من الناس لا يملأ عينه إلا التراب .

(٤٠)

الملابس الجاهزة

مبروك لمصر بئر بترول الغردقة الجديـدة ، ولسـوف تعطيها عائداً يفوق مقداره المليار من الدولارات الأمريكيـة والترجمة الحرفية له بلغة الجنيه المصري ٤,٥ مليار جنيه . فكيف تنظر الدولة بعد ذلك إلى العائدين من الخارج لتقـدر لهم الضريبة التي سـيدفعونها علـى ملابسـهم الخارجيـة والداخلية . ألا تشعر وقتها بألا ضرورة لذلك ؟ ..

هناك رسوم تقتضيها الدولة من المسافرين إلـى خـارج البلاد . ورسوم أخرى تقتضيها الدولة من الداخلين إليهـا . مثل هذه الرسوم مشروعة ولن يحكم القضاء الدستوري بعدم دستوريتها اللهم إلا إذا كانت غير عادلة . إذ على الدولة في كل الأحوال أن تفرض الضريبة متوخية العدالة في فرضـها وإلا كان القانون مشوباً بعيب دستوري .

وفرض ضريبة على ملابس المـواطنين العائـدين مـن الخارج يجب أن يكون عادلاً . وسمعت أن ذلك سوف يطبق على السياح القادمين إلى مصر ، ولكن إذا تم ذلك فـأعلموا أن لا سائح سوف يدخل مصر تجنباً لهذه الضريبة . المهـم

أن العدالة ليست في فرض ضريبة متساوية على الملابس الجاهزة إنما في التفرقة بين الملابس الجاهزة الواردة من الدول الفقيرة الرخيصة والملابس الواردة من الدول الغنية . وفي فرض رسوم على الملابس دون النظر إلى تكلفتها الحقيقية فيه ظلم كبير للمواطنين . فالمواطن حينما يشتري وهو في الخارج بذلة له أو لأقاربه مصنوعة في الصين مثلاً يراعي ألا يتكبد فيها الكثير . وفي مطار القاهرة الدولي يعامل كأنه اشتراها من باريس . وإذا كانت هذه السنة قد تكدست البضائع في المطار ولم يدفع أغلب العائدين رسوماً ، ففي العام القادم سيعود المواطنون دون أي هدايا أو مجاملات أو حتى ملابس لأنفسهم ولن يدفعوا بالتالي رسوماً فكأن الدولة لم تجن شيئاً من الإجراء الذي اتخذته . هناك بعض العاملين في الخارج سوف يدفع الرسوم ويجامل أقاربه ويدلل نفسه ولكن سيدفع وهو يشعر بثقل في قلبه تجاه وطنه الذي يعامله هذه المعاملة الخالية من الإنسانية ، وهدفها فقط جمع المال . لذلك أوصي بإعادة فرض الضريبة على العاملين في الخارج على أن تفرض على كل الأشخاص الطبيعيين دون استثناء وكذلك الأشخاص الاعتباريين كالشركات أيا كان

نوعها . وبذلك تتفادى الدولة عدم دستوريتها . أما لو أفتـى مجلس الدولة أن الضريبة لا زالت تتجاوز أحكام الدستور ، فأرى رفع رسم تصريح العمل للعـاملين المصـريين فـي الخارج ولم يطعن أحد بعدم دستوريته لأنه رسم مقابل خدمة ، وبذلك تحصل الدولة على حصـيلة ماليـة لا بـأس بهـا وتتفادى معاملة المواطنين كأنهم تجار شنطة كلهم بلا استثناء .

(٤١)

العنف والسلام

إذا كان عرفات لا يستطيع أن يوقف العنف ، فإن شارون أيضاً لا يستطيع أن ينشر السلام . لا هذا يستطيع . ولا ذاك يستطيع . الأول لا يتمكن أن يسيطر على الجماهير ، فلا يمكن أن يطالب الفلسطينيين أن يصبروا على الظلم والقتل وهتك الأعراض وتدمير المنازل والتجويع والحصار . وإلا زالت منهم النخوة والغيرة والرغبة في الدفاع عن وطنهم . والثاني بطبعه دموي يميل إلى سفك الدماء وتدمير المنازل واعتقال الأبرياء المدافعين عن كرامتهم بل عن وجودهم حتى لا يكون هناك وجود إلا للصهاينة الآثمين .

وطالما أن أمريكا تساند إسرائيل أو تساند في الحقيقة سياسة شارون فلن يتمكن أحد من نشر السلام وسيستمر العنف . إن أمريكا تضغط عليها الصهيونية العالمية المناصرة لإسرائيل . وإذا ما تخلت أمريكا عن إسرائيل مثلما حدث في العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ فإن إسرائيل سوف تنكمش وتنسحب من الأراضي التي

احتلتها في ٥ يونية ١٩٦٧ . فكيف إذن تتخلى أمريكا عـن إسرائيل والصهيونية تدفع أمريكا إلى أن تناصرها ؟

الحل الوحيد هو أن تفعل الدول العربية ما فعلته الولايات الأمريكية ضد بريطانيا وهو الاتحاد . الحل الوحيـد هو وقوف العرب في مواجهة أمريكا وإسرائيل وقفة واحدة . ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك اتحاد بين الـدول العربيـة تُتخذ فيه القرارات بالأغلبية . ويخضع الجميع لهذه القرارات مهما كانت معارضته لها . والأمر يتطلـب تعـديل ميثـاق الجامعة العربية ، وتحويلها إلى اتحاد عربي . ويكون لهـذا الاتحاد مجلس تنفيذي وبرلمان ومحكمة إقليميـة وموازنـة مستقلة . حينما تجد إسرائيل وأمريكا من قبلها أنهمـا أمـام اتحاد قوي يقول لهما قفا مكانكما . فسوف تتراجع إسـرائيل عن الظلم واغتصاب الأرض واحتلالها .

(٤٢)

تجريب الحرب

جربت إسرائيل القتل والتدمير والاغتصاب وغيرها مـن ألوان التعسف والظلم والبغي فماذا جنت ؟ .. لا شـيء . إن المقاومة على أشدها . بدأت بالحجارة ، وهاهي الآن تنتهـي بالسلاح . إن العمليات الاستشهادية التي لا نظير لها تجري على أرض إسرائيل نفسها . فلم لا تجرب إسرائيل السلام ، وتنسحب من الأراضي التي احتلتها ، وتكتفي بالأرض التي أورثتها إياها عنوة واقتداراً الأمم المتحدة لتنشئ عليها دولـة إسرائيل . لقد تنازل أخيراً شارون عن شرط وقف العنـف لمدة أسبوع ، وذلك حينما اشتدت ضربات المقاومة ، ووجد أن العنف لن يتوقف أبداً . ولا أعتقد أن الغرب سوف يعضد إسرائيل إلى آخر مدى ، فقد بدأ يعترض علـى مهاجمتهـا للمخيمات . مهاجمتها للآمنين الذين لا حول لهم ولا قـوة . وحصارها للعمال الفلسطينيين ومنعهم من العمل . وتجريف أراضيهم . وقتل أطفالهم ونسائهم . أعمال خسيسة لا تصدر حتى من مستعمر .

سيأتي يوم إذا قُتل من الفلسطينيين عشرة فسوف يقتل من الإسرائيليين عشرة مقابل لهم تطبيقاً لشريعة موسـى عليـه السلام القتل بالقتل والعين بالعين والسن بالسن . إن تطـوير المقاومة على قدم وساق ، فألا تحسب إسـرائيل تطـوير لا تنفع فيه طائرات ولا تصلح صواريخ ولا فائـدة مـن هـدم المنازل بالدبابات ؟ ..

أعتقد أن العقلاء من إسرائيل سـوف يطـالبون يومهـا رئيسهم الفحل بالكف عن الدم والتدمير والقتل حتى ينقـذوا أبناء جلدتهم . ويوم يسمع شارون ذلك الصوت العاقل فسوف ينسحب مثلما انسحب مناحم بـيجن وشـامير مـن الحيـاة السياسية ، ويترك لعاقل إجراء المفاوضات . حينئـذ يعلـو صوت العقل على صوت العنصـرية والجـنس المتفـوق . وهاهو يطالب بنفسه بالمفاوضات بعد أن سقط ضحايا مـن بني جلدته شاركوه في الأثم والعدوان . وأرجـو ألا تطـول المفاوضات ويأخذ دباباته ويرحل لأن المقاومة لن تتوقـف . ولتنحسر إسرائيل في ركنها الـذي أهـداه لهـا الاسـتعمار البريطاني من قبل ووافقت عليه الأمم المتحـدة ولا تطالـب بالمزيد .

(٤٣)

انقلاب الأوضاع

ضحكت كثيراً عندما قرر متحدث إسرائيلي من أن عملية حيفا هي المبرر لما تفعله إسـرائيل فـي رام الله ، مـع أن عملية حيفا جاءت بعد ما فعلته وتفعله إسرائيل في رام الله . انقلبت الأوضاع وصار البرهان هـو الفـرض . وصـار الفرض هو البرهان . وكم فـي إسـرائيل مـن المبكيـات المضحكات .

والرئيس بوش الابن يصف ما حدث في حيفا مـن أنـه هجوم إرهابي وحشي . ويتغاضى عما تفعله إسرائيل في رام الله . بل لعله يصفه بأنه دفاع عن النفس . وهكـذا يتحـول الاعتداء إلى دفاع عن النفس . ويتحول الدفاع عن النفس إلى اعتداء . إنهم يقلبون الحقائق بشكل مثير للامتعاض .

وأنصح رئيس دولة فلسطين ألا يردد مقولته بأنـه مـن شعب الجبارين . فقد وصلت إسرائيل إلى المرتبة التي هـي

عليها بقولها أنها شعب مطارد . وشعب مشـتت . وشـعب تعرض لنيران الهولوكست . ولم تقل إسرائيل إننا نقود العالم . وأننا نحرك أمريكا . وأن أمريكا فـي جيبنـا . والعـالم وقرارات الأمم المتحدة لا تعنينا .

إننا نريد أن نقول أنقذوا فلسطين مـن محنتهـا . أنقـذوا شعبها من التشريد . أبكوا مع الثكـالى واليتـامى . وأبكـوا شهداء فلسطين . نفذوا قرارات الأمم المتحدة مثلما نفذتموها في البوسنة والهرسك وكوسـوفا . أنقـذونا مـن وحشـية الإسرائيليين ومن تدمير بيوتنا ومن خـراب حقولنـا ومـن المستعمرات التي تغتصب أرضنا .

(٤٤)

الحرب بالتجويع

أصبحت الحرب الآن هي الحـرب بـالتجويع . بـدأتها الولايات المتحدة الأمريكية بحصـار العـراق ، وتجويـع الشعب العراقي ومنع الغذاء والدواء والتجارة مع العالم عنه حتى يركع الشعب العراقي ويستسلم ويثور على الأوضـاع ويقلع رئيسه .

وتتبع نفس السياسة إسرائيل بدخولها الأرض الفلسـطينية بالجنود والدبابات والطائرات والصـواريخ وفـرض حالـة الطوارئ .وذلك لمنع الناس من الخروج من بيـوتهم ومنـع الأفراد من التجارة وغلق محلاتهم بل نهبها وتفريغهـا مـن البضائع . وبينما الجنود المدججون بالسلاح يأكلون ويشربون ويسومون الناس العذاب فالشعب الفلسطيني جائع . وذلـك أملا في أن يركع . ويقول استسلمنا يا إسرائيل . لكن للأسف الشديد لم تسمع إسرائيل صيحة بذلك . والشعب الفلسطيني لا يزال يقاوم رغم الحرب بالتجويع .

فرضت إسرائيل التجويع على رئيس الفلسطينيين المنتخب ، فمنعت عنه الماء والغذاء والدواء . لا تسـمح لأحـد أن يدخل إليه أو تسمح له بأن يخرج . تريد أن تفسـد الهـواء داخل حجرته حتى لا يتنفس ويموت جوعاً ومن قلة التـنفس وقلة الدواء . وما فائدة ذلك كله ؟

دولة كبيرة تحارب فرداً .

إن شارون يزعم أنه عزل ياسر عرفات فلماذا يحاصـره ويجوعه ويمنع عنه الدواء والماء . إنه يريد قتله ، لأنه لـم يتمكن من أن يقتله في عام ١٩٨٢ حينما اجتاح لبنان . والآن حان وقت القتل بطريق لا دخل له فيها . سيقول حينئـذ مـا منعه من الخروج وتسليم نفسه للجنود . نحن لم نمنع خروجه . ولا يدري أنه منع عنه الطعام والماء ويريد أن يعتقله ولو كان قادراً لمنع عنه الهواء .

والمثل يقول : من قتل يقتل ولو بعد حين ، فأبشـر يـا شارون بالموت لكن لن تكون في هذه الحالة شهيداً .

(٤٥)

سلاح النفط والمقاطعة

هل يؤثر قرار العراق بوقف ضخ البترول في سوق النفط ؟ .. لا أعتقد . إن القرار المؤثر بالفعل هو رفع سعر البترول سواء اشترت الدول من الدول النفطية أم لم تشتر . وأن توجه الزيادة لخدمة القضية الفلسطينية . في هذه الحالة إذا لم تشتر دولة من الدول النفط فإن ذلك يساوي بالضبط وقف ضخ هذه الدول للبترول . أما في حالة ما إذا اشترت الدول بالأسعار المرتفعة فإن معنى ذلك أن الدولة المشترية قبلت المساهمة في خدمة القضية الفلسطينية وأفادت الدولة البترولية .

ومن ناحية أخرى ، الامتناع عن شراء منتجات الدول المشجعة لعدوان إسرائيل على الفلسطينيين واعتبار ذلك دفاعاً عن النفس ، واعتبار الدفاع الشرعي للفلسطينيين عن أرضهم إرهاباً . ذلك الامتناع سوف يؤدي إلى كساد منتجات هذه الدول المشجعة للإرهاب الإسرائيلي . ولكن لا يصل بنا الأمر إلى الامتناع عن شراء المنتجات التي تم استيرادها

بالفعل من هذه الدول ، لأن في ذلك إضراراً بمواطنينـا الذين استوردوا هذه المنتجات ولم يكـن قـد أتخـذ قـرار المقاطعة بعد . ومن السذاجة أن نكف عن استيراد المنتجات التي تفيد إنتاجنا وأداء خدماتنا ولكن نحـاول - فـي نفـس الوقت - تصنيع هذه المنتجات كالآلات والأدوات حتى نمتنع عن استيرادها .

إن ذلك الوضع سوف يحفـز المـواطنين علـى شـراء البضائع المنتجة في بلادهم ولو أنها أقل جودة ومن ثم يحدث تشجيع للصناعات الوطنية . وما دام الأفراد سوف ينتجـون الآلات والأدوات التي سيمتنعون عن استيرادها في المستقبل فإن ذلك بشير بإدارة عجلة الصناعة وازدهارها ..

(٤٦)

هو ومثيله

الحقيقة خاب ظني فيه ، وكنت أشجع فوزه على منافسـه في الانتخابات ، لأنه لم يستطع أن يحمي أمريكا من غـزو الإرهابيين . فقد استطاع نفر منهم مـن التسـلل وسـرقوا طائرتين واصطدموا بهما في برجين شهيرين كبيرين ، وهو لم يستطع أن يمنع ذلك التسلل مثلما لم يستطع رئيس اتهمـه بالضعف من أن يكبح جماح أفراد شعب مغلوب على أمـره من تسللهم عبر جزء عزيز من أمريكا وتفجير أنفسهم فـي الناس الأبرياء الذين احتلوا ذلك الجزء العزيز .

وهو لم يستطع أن يصون مال واضعي الضرائب ، فبعد تفجير البرجين والخسارة الفادحة التـي ترتبـت عليهمـا ، صرف أموال الشعب دافعي الضرائب في الحرب ضد دولة ضعيفة يقودها جمع من المتطرفين . وهو لا يزال يصـرف على الحرب دون توقف . ولم يكن ناصحاً مثل أبيه حينمـا قهر دولة ملء السمع والبصر وكانت خاطئة فـي تصـرفها بأموال أشقائها . ولا يزال يقهرها بأموالهم . أما هـو فقـد ضرب الدولة الفقيرة الصغيرة المتهالكة بأموال شعبه وأنفقت

معه بعض الدول على الحرب وكان عليهم تحطيمهـا مثلمـا حطم آخر مدن ضفة غربية وقراها على زعم أنـه يـؤدب الإرهابيين . ألم يكن الأحرى به أن يسأل السفاح كيف فعـل وكيف هدم وكيف خرب ليقتفي أثره ؟ ..

لقد خاب ظني فيه ، ولم أعد أثق به ، فهو يناصر سفاحاً يستنفذ أموال شعبه في التدمير والتخريب . إنه يبعثر الأموال التي صرفتها الدول الأخرى على مؤسسـات تلـك الضـفة الغربية وسوف يضطرون إلى إعادة الصرف حتى يظهـروا بمظهر محبي السلام . مع أنه لقب الفاعـل الأثـيم برجـل السلام ويداه مخضبتان بـدم الأبريـاء والأطفـال والنسـاء والعجائز ، وتمكن ذلك السفاح من اعتقـال الرجـال بـتهم ضلوعهم فـي الإرهـاب وراح يعـذبهم حتـى يسـتخلص الاعترافات منهم على زملائهم .. ويدعي بذلك أنه في منتهى الحضارة والتحضر . ولا يختلف عن صاحبنا الـذي سـجن أبرياء في سجن منعزل حقير في جزيرة مهجورة على زعم أنهم من ذيول الإرهاب . لا يبت في أمرهم ولا يحسن مـن ظروفهم ويدعي أنه ابن الحضارة والتمدين .

لو كان البلد الذي ينتمي إليها ديمقراطية - كما يقـال - لكان على الشعب أن يعزله مادام قد اخطأ بعدم صيانة الأمن وتبديد أموال دافعي الضرائب في التخريب والهدم والحـرب ومساندة الظلام . ولكني سأنتظر حتى تمر سنوات حكمه لأنه لن يفكر في تقديم استقالته مثلما لا يفكر سفاح الضفة الغربية في تقديم استقالته . وهما لا يختلفان أحـدهما عـن الآخـر فالفاعل والمحرض أو الشريك بالتحريض في حكم القـانون الجنائي يوقع عليهما نفس العقوبـة والإجـرام ثابـت فـي عنقيهما .

إنني أنتظر إلى مـا بعـد أكتـوبر القـادم لأرى نتـائج الانتخابات . وربما أكون مخطئاً فيفـوز فـي الانتخابـات ويصفق له مجتمعه والمجتمعات الأخرى . وربما منح جائزة نوبل للسلام لأنه شارك السفاح في تركيع شعب أعزل . وقد يقاسمه السفاح الجائزة .

(٤٧)

تكوين الكتب من الحاسب الآلي

الحقيقة كنت وما زلت أطالب بأن تقـوم صـحيفة الأهرام بإصدار كتاب شهري تُجمع فيه مقالات كاتب واحد من كتاب الأهرام العظام . ربما تصل المقالات فيه ٥٢ مقالة أو اقل بسبب الإجازة السنوية للكاتب . أو ٢٦ مقالة فأقل لأن بعض الكتـاب يكتـب مقالـة أسبوعياً والبعض الآخر يكتب مقالة كل أسـبوعين . غير أن الأمر يبدو أنه لن يلاقي هوى لدي أصحاب الشأن . لذلك بدأت من خـلال الأنترنـت بتجميـع مقالات السادة الكتّاب في ديسكات . ولكن للأسف لا يمكنني تجميع كل مقالات الكاتب في جلسة واحدة ولا بأس في ذلك فلست مستعجلاً .

المهم أنني أصل إلى فهرس مقالات الكاتب عـن طريق ما يظهر على الشاشة عنـد طلـب جريـدة الأهرام موقع اسمه " أبحث " . والغريب أن فهـرس

المقالات يظهر باللغة الصينية أو اليابانية فما السـبب ؟ .. طبعاً لا يهمني ذلك فأنا أضغط على اسم المقالة وبعد فترة تظهر المقالة باللغة العربية فأطلـب مـن الحاسب الآلي أن ينقلها إلى الديسكت . وهكذا تتجمع لي مقالات كاتب واحد .

إن الديسكت الواحد يتكلف ما قيمته أكثر من جنيه أما الكتاب فقد يتكلف أكثر من خمسة جنيهات لـذلك فأنا أسحب همستي ، وأنادي الشباب الذين يريـدون مقالات كاتب معين أن يتبعوا طريق الأنترنت . ولو أن ذلك قد يؤثر على سوق الكتاب المكتوب لكن مـا باليد حيلة فالكاتب لن يستطيع أن ينشر مقالاته والدار الصحفية لن تتمكن من نشر المقالات في كتاب واحد لأن سوق الكتاب المقروء كاسدة .

(٤٨)

إلى الأستاذ / رجاء النقاش

قرأت لكم مقالكم المنشور في جريدة الأهرام فـي ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٢ بشأن القوانين التي تمنع الأفراد القادرين والمـؤهلين من إصدار المجلات الأدبية والعلمية . وقد رد عليكم الدكتور / مصطفى كمال حلمي رئيس مجلـس الشـورى ورئـيس المجلس الأعلى للصحافة أن القـانون لا يمنـع الأحـزاب السياسية والأشخاص الاعتبارية العامة والخاصة من حريـة إصدار الصحف وملكيتها . ومعنى ذلك أنه يمنع الأفراد من إصدار الصحف والمجلات .

لكن القانون لا يمنع الأفراد من إصدار الكتب ، فهو لا يمنع الفرد من إصدار كتاب ولو كل يوم . ولا يمنع مجموعة من الأفراد في إصدار كتاب ولو كل أسبوع . وبـذلك يسـتطيع الأفراد القادرين أن يقوموا بدورهم في التأثير على المسـرح العام - على حد تعبيركم - وذلك بإصدار الكتب التي تكتب بشكل جماعي سـواء شـملت موضـوعاً معينـاً أو عـدة موضوعات .

ولا أهمية لأن يسمى الكتاب مجلة . ولكن سيكون معروفـاً للجميع أنه مجلة لأن الكتاب عادة ما يكتبه فرد واحد . ولكن هناك من الكتب ما يكتبه أكثر من فرد . ويقال لمـن يبوبـه وينقحه أو يرتب فقط المقالات فيه أنه رئيس تحرير الكتاب . وبذلك يمكن التحايل على نص القانون الجامد وبذلك نـتمكن من معالجة النقص في حياتنا الثقافية . وهو تحايل مشـروع لأن إصدار الكتب غير ممنوع بنص القانون . ولا يمنع نص في القانون مجموعة من الأفراد من إصدار كتاب ولو بصفة دورية . وإذا كانت الدورية هي التي ستحول الكتـاب إلـى مجلة ، فلا بأس ألا يكون الكتاب يصدر بصفة غير دورية ، بأن يصدر الكتاب في شهر ويغيب في شهر آخر ثم يصـدر في شهرين متتاليين ثم يغيب شهرين آخرين متتاليين .

ويستمر ذلك التحايل حتى يقتنع المسئولون أن حرية إصدار المجلات تشمل الأشخاص الاعتبارية والأشخاص الطبيعيـين أيضاً لأنها جزء مكمل من حرية التعبير التي نـص عليهـا الدستور ولا يجوز مصادرتها . فما رأيكم دام فضلكم ؟ ..

(٤٩)

الصفحة رقم (١٨)

أريد أن أسألكم سؤالاً عن الصـفحة الخاصـة بالإذاعـة والتلفزيون وهي عادة ما تكون رقـم (١٨) فـي جريدة الأهرام . ماذا يستفيد القارئ منها إذا ما قام المحـرر بعرض ما يتضمنه الفيلم أو المسرحية أو المسلسل . إن ذلك بلغة العامة سوف يحرق الفيلم أو المسرحية أو المسلسـل . سيجد القارئ أن عنصر التشويق قد انتهى لديه . هل القارئ في حاجة إلى أن يعرف موضوع الفيلم مقدماً قبل أن يراه ؟ .. أعتقد أنه يكفي له أن يعرف اسمه فقط لا موضوعه وهل ستكون له رغبة بعد ذلك أن يراه وهو يعرف موضوعه ؟ ..

المهم أن الصفحة حجبت عن القـارئ بـرامج القنـوات المصرية جميعها فيما عدا القناة المصـرية وهـي القنـوات الفضائية رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ مـع أنهـا تظهر كلها في النيل سات فما السبب ؟ . وكانت برامج هـذه القنوات تظهر في الصفحة قبل الطبعة العربية فلم حجبـت ؟ ..

أرى أن تعرض الصفحة تعليقاً على فيلم أو مسـرحية أو مسلسل تم عرضه وتوجه إليه سهام النقد أو حتـى المـدح والإطراء أو الذم وبذلك يسـتفيد الممثلـون أو المخرجـون والمشتغلون بالسينما والمسرح والتلفزيون عموماً .

ألا تستحق برامج الفضائيات المصرية ومـا أكثرهـا أن تُعرض على هذه الصفحة بجانب البرامج الأخـرى للـبلاد العربية في طبعة الأهرام العربية ؟ ..

(٥٠)

بوش طلع بوش

لما قرأت أن مفتشي الأمم المتحدة لم يعثروا على أسـلحة التدمير الشامل في العراق . فسمعت نفسي تقول : بوش طلع بوش .

تساءلت هل كلمة بوش لغة عربية . رجعت إلى المعجـم الوجيز ووجدت فعلاً في الصفحة ٦٧ منه : باش القوم بوشاً : كثروا واختلطوا وضجوا . وصاحوا (أي تظاهروا كمـا يقال الآن) . بوش القوم : كثروا واختلطوا . وبوش خلطوه بغيره . البوش الجماعة في كثرة واختلاط . والبوش الغوغاء والجمع أبواش . (وربما انقلبت في العامية لتصبح أوباش) . والبوشي (نسبة إلى البوش) من كان من رعاع النـاس . وهكذا يتضح الفرق بين اللهجة العامية حينما نقول بـاش أي ذاب . وباللغة العربية الفصحى أي كثر . أما القول بأن بوش طلع " بوش " فمعنى ذلك أنه بدا فاشلاً . ومـن أجـل ذلـك سوف يحارب بوش حتى لا يكون فاشلاً وليتذرع بـأي مـن الذرائع . وقد لا يحارب إذا بلع الغصة ولم يقلد ايـدن فـي بريطانيا وجي دي موليه في فرنسا في العدوان الثلاثي على

مصر عام ١٩٥٦ . وهل سينجح فـي الانتخابـات بعـد أن يحارب ؟ ..

لقد وقفت أمريكا في مواجهة ذلك العدوان وكذلك روسيا . أما الآن فمن يقف ضد أمريكا ؟ .. ومن يقف مع العراق ؟ ..

(٥١)

يا نساء البلد أتحدن

موقف المرأة في السياسة غريب . قديماً كانـت تحكـم . وتخلت عن الحكم . وعادت تحكم من وراء الستار . وهناك نزعة لدي القليلات منهن للعودة إلى الحكم .

ماذا يحدث لو حكمت المرأة ؟ ..

وكيف تصل أولاً للحكم ؟ ..

في أي دولة في العالم تمثل النساء ٥٠ % على الأقل من السكان . لذلك فإن قوتها العددية مساوية لقوة الرجل ، فكيف لم تحكم على الأقل بالمشاركة مناصفة مع الرجل ؟ ..

وفي الدول الديمقراطية تصل الرجال أو النساء إلى الحكم عن طريق الانتخابات ، وقد أختلف موقف الدول بين حرمان مطلق للمرأة من حق الانتخاب أو إطلاق لهذا الحـق ومـا يتبعه من حق الترشيح للمجالس النيابية .

هناك دول حرمت على المرأة حق الانتخاب ، وبالتالي لا يجوز لها أن ترشح نفسها إلى المجالس النيابية . وفي هـذه الحالة لن يتسنى للمرأة أن تصل إلى الحكم .

وفي دول أخرى سمحت القوانين لهـا أن تمـارس حـق الانتخاب بل حق الترشيح للمجالس النيابية ، لكن المرأة لـم تستعمل هذا الحق ، لأنها لا تهتم بالسياسة ، وتنعزل عنها ، ولا تخوض الانتخابات ، لذلك لن يحدث أن تحكم لأنـه لـو تقدمت واحدة أو أكثر إلى خوض غمار المعركة الانتخابية ، واستطاعت عدة من النساء أن يدخلن البرلمان فلـن يمـثلن تياراً جارفاً يمكن أن يكون له تأثير في مجريات الأمـور . وبالتالي سيصعب على المرأة أن تحكم .

لكن إذا فُرض وقيدت كافة النساء أسماءهن في جـداول الانتخابات ، وقررن ألا يصوتن إلا لصالح النساء ، ورشحت بعض النساء أنفسهن في كل الدوائر ، فإنه من الممكـن أن تتكون أغلبية المجلس التشريعي من النساء وذلك نتيجة اتحاد النساء في الدوائر الانتخابية واختيارهن النساء المرشحات في هذه الدوائر ، بشرط أن يتقاعس الرجال عن ممارسة الحـق الانتخابي كعادتهم ، ولذلك سوف تفوز النسـاء فـي أغلـب الدوائر .

إذا ما تكون المجلس التشريعي من أغلبية النساء فسـوف يرشحن لرئاسة الوزارة امرأة منهن لتقود وتحكم . لأنه لو تم

فرض رجل لرئاسة الوزارة فسوف تُسحب الثقة به أغلبيـة النساء . وفي هذه الحالة فقط سوف يطالب الرجال أن يكون نصف عدد المقاعد في المجلس التشريعي يجـب أن تكـون للرجال على الأقل . وقد لا ترضـى النسـاء - صـاحبات الأغلبية - أن يكون هناك مجلس نصفه علـى الأقـل مـن الرجال . بل سوف ينادين أن يترك الوضع على ما هو عليه . وإذا أتحد الرجال ومارسوا حقـوقهم السياسـية لصـالح المرشحين الذكور ، فإن معني ذلك أن تكون هنـاك أغلبيـة للرجال أو على الأقل قد يكون نصف عـدد المقاعـد فـي المجلس التشريعي لهم .

لكن في حالتنا هذه سوف تضطر رئاسة الدولة إلى إسناد مجلس الوزراء إلى زعيمة النساء في المجلس التشـريعي . وإذا ما ألفت الوزارة امرأة فسوف تسـند أغلبيـة الحقائـب الوزارية للنساء . (ولو أن ذلك لم يحدث في زمن مسز تاتشر - حينما كانت لا تزال مسز وليست بارونة - إذ لم تؤلف الوزارة كلها من النساء . ولعل السبب فـي ذلـك يرجع إلى أن هناك قاعدة أن من يكون وزيراً لابد أن يكون

عضواً في مجلس العموم البريطـاني وأغلبيـة الأعضـاء المنتمين إلى حزب المحافظين كانوا من الرجال) .

هكذا تصل المرأة إلى الحكم في الدول الديمقراطية عـن طريق تجنيد كل صاحبات الحقوق السياسية في قيد أسمائهن في جداول الانتخابات والإدلاء بأصواتهن لصـالح النسـاء المرشحات ، وبالتالي تفوز المرشحات بأغلبية عدد أصـوات الناخبات إذا استمر تقاعس الرجال عن الإدلاء بأصواتهم ففي هذه الحالة سوف تزيد أصوات النساء عن أصوات الرجـال فتفوز النساء .

لعل ذلك هو السبب الذي من أجله حـاول الرجـل فـي الماضي ولا يزال يحاول في الحاضر أن يحول دون ممارسة النساء للسياسة من خلال ممارسة حق الانتخاب والترشيح في المجالس التشريعية . فهم لا يزالون يمنعهن من الاشـتغال بالسياسة بإصدار أوامـرهم أن قـرن فـي بيـوتهن . ولا ترشحهن الأحزاب للانتخابات ولو أنهن يدخلن مستقلات في بعض الأحيان ولكن أغلبية الرجال في الـدائرة الانتخابيـة تحول دون فوزهن .

بل إن المرأة نفسها لا تجد لديها الرغبة فـي الاشـتغال بالسياسة أو حتى التوجه إلـى اللجـان الانتخابيـة لـلإدلاء بصوتها . والدليل على ذلك أن نسبة المشتغلات من النسـاء تقل عن ١٠ % من مجموع السكان النساء في سن العمـل ، وبالتالي فإن ٩٠ % منهن ربات بيوت ولا يفكرن في العمل ولا يبحثن عنه ، ومن باب أولى لا يفكرن فـي الاشـتغال بالسياسة أو حتى ممارسة حقوقهن السياسية . لقـد حصـلت النساء على حقوقهن السياسية في بريطانيا في زمـن مبكـر وحصلت عليها النساء في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانيـة ولكن قليلات هن اللواتي اصبحن يشتغلن بالسياسة هل هـو طبع في المرأة رغم أن الظروف مواتية ؟ ..

ماذا يحدث لو حكمت النساء ؟ ..

يشيع الرجال حالياً إن النساء عاطفيات والسياسة لا تعرف العاطفة فكيف ستدير دفة الحكم ؟ ..

ويشيعون أيضاً أن النساء متسامحات والاشتغال بالسياسة هو اشتغال بالاقتصاد فكيف يتوقع أن يسير اقتصـاد الـبلاد وفقاً لخطط وبرامج ، ويتنبئون أنه سيكون سـبهللة (أي لا

ثمرة ترجى منه) . وبالتالي سوف تتعطل الأعمال وتتشتت الهمم وتنزوي الحضارة .

لكن هل هذا ما سيحدث ؟

لا اعتقد . هناك المرأة الحديدية مثلمـا هنـاك الرجـل الحديدي . وهناك المرأة المستبدة مثلما هناك الرجل المستبد . وهناك المرأة الخارقة مثلما هناك الرجل الخارق . وهناك المتعلمات مثلما هناك المتعلمون . وهناك الحاصلات علـى الدكتوراه مثلما هناك الحاصلون عليهـا . وهنـاك النسـاء الخاضعات مثلما هناك الرجال المطيعـون . لا فـرق بـين النساء والرجال اللهم في أن النساء يحملن والرجل يبذورون . واعتقد أن لو قامت واحدة ذات فكر ونادت : يا نساء البلد اتحدن . وكانت لدي النساء رغبة في أن يتحـدن فسـيكون الحكم للنساء . ولكن كما يبدو أن النساء متخاذلات لا يرغبن في السياسة ، فقد مضى أكثر من قرن عليهن فـي بعـض الدول الديمقراطية ولا زلن محلك سر .

(٥٢)

أيها المتقاعسون .. انتبهوا

هؤلاء المتقاعسون عن قيد أسمائهم في جداول الناخبين ، لا يعرفون أنهم يتركون للأقليات النشطة أن تحـدد مسـار حياتهم . وقد تكون هذه الأقليات غير آبهة للصالح العـام ، إنما همهما الأول والأخير هو صالحها ، أو تحطيم الوطن ، أو دفع الناس إلى التساهل بما يحقق لرأس المال المستغل أن يسود .

لنفرض أن الدوائر الانتخابية تتألف من مائة ألف ناخـب في كل واحدة . وأن الذين حضروا للإدلاء بأصواتهم عشرة آلاف ناخب . فمعني ذلك أن ١٠ % من ناخبي الدائرة قـد أدلوا بأصواتهم . ومن سيفوز بمقعد المجلـس التشـريعي سوف يحصل على نصف عدد الأصوات + ١ فإذا فُرض أن كل الأصوات صحيحة فإنه يحصل على ٥٠٠١ صوتاً أي ٥ % من أصوات الناخبين . ولو حدث نفس المشهد فـي كـل دائرة أو أغلبية الدوائر فإن نواب المجلس التشريعي سـوف يمثلون الأمة بأسرها ب ٥ % من عدد الناخبين .

أنظر بعد ذلك إلى القـوانين التـي يصـدرها المجلـس التشريعي . إنها تصبح صحيحة لو حضرت أغلبية الأعضاء ويتم الموافقة عليها بأغلبية عدد الحاضرين . فإذا كان عـدد النواب خمسمائة فإن ١٢٦ عضوا كافية لإصدار القانون أي أكثر من ربع عدد الأعضاء بقليل .

فهل يدرك هؤلاء المتقاعسون سواء على مستوى الدوائر أو في مجلس التشريع إلى أي مدى يضرون الوطن وأنفسهم ؟ .. وإلى أي مدى يتركون الوضع يتفـاقم حتـى يصـدر القانون عن عدد قليل من الأفراد والمدى الذي يمثله هـؤلاء بين الشعب ؟ ..

السبب في ذلك التقاعس هو أن العقل الـواعي للشـعب مغيب . لا أهمية عندهم في الحكم . ولا أهمية عندهم فـيمن يحكم . ولا أهمية عندهم فيما يقرر القانون . وسوف ينفذون القانون رغماً عنهم ولو كانت الأغلبية رافضة إياه . لكن أين هي الأغلبية ؟ .. إنها لم تظهر على أي مسـتوى . لا فـي حضور الدائرة الانتخابية . ولا حضور المجلس التشريعي . وتترك للأقلية النشطة أن تتحكم .

بل لو لاحظت هذه الأغلبية من يضع القانون لفوجعـت . !! .. إن ممثلي الشعب لا يضعون القانون لأنه يتم وضـعه في دهاليز الحزب الحاكم ثم يتـرك للمـوظفين الإداريـين صياغته بحيث يحقق مصالح يظنون أنها المصـلحة العامـة وما هي إلا مصالح الذين يخاطبهم القـانون مـن أصـحاب المال . أنظر مثلاً ماذا حدث في تجريم تداول النقود الأجنبية . كانت المصادرة هي العقوبة الدنيا إذا ضبط واحد يتاجر في العملة الأجنبية . وكان تحريم تداول النقود خارج البنـوك . وداخلها كان لا بد من معرفة مصدر النقود . فإذا لم يكن لها مصدر فإن المحرم إيداعها في المصرف . وبجرة قلـم تـم إلغاء ذلك . وتمت الموافقة على إنشاء شركات الصرافة تبيع وتشتري النقود الأجنبية . تحول الحرام إلى حلال . لم ؟ .. لأن ذلك يضر بالاقتصاد القومي . ولم لم يكن يضر في زمن مضى ؟ .. لأن ذلك الزمن له ظروفـه الاقتصـادية وهـي مغايرة عن ظروف الوقت الحالي .

كل ذلك لأن عقل المواطن العادي مغيـب . ولا يـدلي برأيه في أي موضوع .

قد يقضي وقته ساهراً في المقهى . يلعب الورق أو النرد أو الدومينو . وإذا كان ذكياً لدرجة ما فهو يلعب الشطرنج . ولكن ذلك الذكاء لا يوقظه وقت الانتخابات ليـؤدي واجبـاً عليه لبلاده ولا يسعفه في ضم صوته إلـى الآخـرين لـتُعلن كلمتهم .

أو قد يقضي وقته في السينما .. أو أمام التلفزيون يشاهد مباراة في كرة القدم . أو يستمع إلى المذياع إذا كان بصـره ضعيفاً يستمع إلى الأغاني الشبابية . وهكذا يفضل أن يشاهد فيلماً على أن يتوجه إلى اللجان الانتخابية للإدلاء بصوته .

والمواطن العادي لا يستعمل حقوقه السياسية يوم يطلـب منه ذلك إنما أيضاً يتوقف عن تثقيف نفسه . لا يقرأ كتاباً أو حتى رواية أو قصة . بل قد تعفو نفسه عن قراءة الجريدة . وذلك لأن أسعار الكتب مرتفعة تجعل دخلـه يـئن ، أو لأن أسعار الصحف تخرب جيبه . أليس اقتطاع خمسـة عشـر جنيها من جيب موظف في الشهر أمراً بالغ الأهمية !! ..

إن التقاعس - في بعض الأحيان - مصدره الفقر . وإذا تم القضاء عليه فيمكن أن يزول ، ويبدأ الناخب في ممارسة حقوقه السياسية . ويكون النائـب عـن النـاخبين جـديراً

بالمنصب لأن أغلبية أصوات الناخبين الحقيقية وافقت عليه . وإذا ما دخل النائب المجلس التشريعي فهو يدخل واثقاً مـن نفسه تسنده آلاف الأصوات وسوف يناقش ويـتكلم ويجـادل وهو كتلة مشتعلة من النشاط .

إن إقامة المشروعات الكبرى - كما قال الرئيس محمـد حسنى مبارك في الاحتفال بالمولـد النبـوي الشـريف - تستهدف إحداث تغيير عميق في مسـتوى معيشـة الشـعب وإقامة الفرصة لأبنائه للخروج من الوادي الضـيق القـديم وبذلك تمتد الحضارة وتتسع الأرض لأبنائها ويتوافر الرزق أمام جميع أفراد الشعب . ونقول إن شعب جائع لا أمل لـه في ممارسة حقوقه السياسية . أما الشعب الشبعان فالأمل كله في أن يناضل في سبيل حقوقه دون كلل . إذا ما شعر الفرد أن الرزق يجري بين يديه فلن يستسـلم لليـأس ، وسـوف يحاول أن يتدخل في العملية السياسية من أجل مزيـد مـن الترقي ، ومن أجل غد مشرق ، يدفعه للتفاؤل والمشاركة في الإدلاء بالرأي .

لكن ليس الفقر هو العامل الوحيد في تقاعس المـواطنين عن ممارسة حقوقهم السياسية . هناك مـن الأغنيـاء مـن

يتقاعسون . والسبب واضح وهو أن سطوة المال التي فـي أيديهم لا تجعلهم يهتمون بمن سيكون في يده مقاليـد الحكـم لأن المال يوحي لهم بأنهم قادرون على فعل ما يريدون دون أن يعترض أحد . ولو أن ذلك من الأساطير التي تعشش في نفوسهم . وإذا ما تيقظ الشعب زالت دولتهم . وهناك أيضـاً من المثقفين من يتقاعس . والسبب هو فقدان الثقة في نظـم التصويت والفرز وإعلان النتائج . إنهم يعتقدون أن أصواتهم تضيع هدراً . وأن صوت السلطة يعلو على صوت الشعب .

ولكن لكل هؤلاء نقول : أيها المتقاعسـون انتبهـوا . إن الوطن أمانة في أيديكم . وإن لم تدلوا بآرائكم فمن إذاً الـذي يدلي ؟ .. وهل نترك الأمر إلـى الأجانـب يملـون علينـا صياغات حياتنا ، أم نترك الأمر إلى أقليات متناثرة نشـطة تنفذ من خلال التقاعس لتملـي كلمتهـا ، وهـي مبتهجـة بانتصاراتها .

(٥٣)
اتركوا الأحزاب تنطلق

هل يستطيع فرد وحده أن يضع مذهب وبرنامج ومبـادئ وأهداف حزب معين ؟ .. ويقول هذا حزبي فانضموا إليـه . لا أعتقد . لأن الحزب هو عمل جماعي ، ولا يتخصص في موضوع واحد ، حتى يكون المتخصص قادراً على التعبير عنه . إنما يشتغل الحزب بعدد من المسائل . تبدأ بالمسـائل السياسية فالاقتصادية ثم الاجتماعية وتنتهي بالمسائل الثقافية . ولا بد أن يكون للحزب رأي ينفرد فيه أو لا ينفرد لحل كل مسألة في هذه المجالات المختلفة .

يجب أن يكون للحزب وجهة نظر ابتداء في الدسـتور . والدستور ليس فقط نصـوص تتعلـق بتشـكيل السـلطات ووظائفها إنما يمتد إلى مقومات المجتمع والاقتصاد وحقـوق المواطنين وواجباتهم وكذلك حقوق وواجبات الدولة ذاتهـا . وكل مسألة من هذه المسـائل تحتـاج إلـى رأي قـانوني متمرس . بل أكثر من رجل قانون .

ثم يجب أن يكون للحزب وجهة نظر في القوانين المختلفة كقوانين الصناعة والتجارة والبنـوك والتـأمين والخـدمات وغيرها من القوانين . فضلاً عن القانون العام بما فيه القانون الإداري والجنائي . فهل فرد وحده يمكن أن يدلي بدلوه في كل هذه القوانين ؟..

ويجب أن يكون للحزب وجهة نظر أيضاً فـي المسـائل الاقتصادية وعلى رأسها الرأسمالية والاشـتراكية . ومـدى تدخل الدولة في النشاط الاقتصـادي أو عـدم تـدخلها . أو تدخلها في بعض المشاريع دون البعض الآخر . وهذه مسائل اقتصادية تحتاج إلى عقليات اقتصادية متمرسة ولـيس إلـى مجالس للثرثرة وتجاذب أطراف الحديث .

وللحزب وجهة نظر اجتماعية في صـراع الطبقـات أو تعاونها أو تضامنها والتكافل الاجتماعي فيما بين المواطنين .

هل كل وجهات النظر هذه يمكن أن يقوم بها فرد وحده أو مجتمع من الناس قليل العدد وحده ؟ لا أعتقد .

إن الحزب ينشأ صغيراً وقد يتوقف نموه لإعراض الناس عنه . وأفكار الحزب تصاغ جملة ثم جملـة حتـى تصـبح مستقرة . . بعد مناقشات ومداولات . فهل صرح القـانون

بذلك ؟ . هل إذا أراد جمع من الناس تشكيل حزب معين أن يلجئوا إلى الجرائد ويعلنوا أنهم بصدد قيام حـزب ومبادئـه الأولية كذا وكذا وعلى الناس أن يتجمعوا في النادي الفلاني أو المكان العلاني للمناقشة وتداول الرأي والانضـمام إلـى الحزب في حالة ما إذا راقت مبادئه لهم . لا أظن أن حريـة الاجتماع وصلت إلى هذا الحد أو هذا المـدى . ولـو قـام المؤسسون بتقديم أوراق الحزب إلى لجنة شئون الأحـزاب فإن من المعروف سلفاً أنها سترفض تشكيل الحزب ، وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء . وسوف ترفض الحزب لأنه غير متميز ، أو لأنه لم يأت بجديد . مع أن الأفكـار بشـأن المجتمع محدودة . وتتفرع عن أربـع محـاور الحريـة - الديمقراطية - النظام الاقتصادي المناسب - تكافل المجتمع . لكن ما يميز حزب عن آخر هو برامجـه فـي كافـة هـذه المجالات . وهذه البرامج لا تُبتكر بين يوم وليلة ، ولا يمكن أن توضع إلا إذا كان أمام المبـرمج عناصـرها الأوليـة : المسائل الأساسية - الإمكانـات - الأولويـات الماديـة - الأسعار . وغير ذلك .

لذلك فإن رفض قيام سبع أحزاب مرة واحدة بزعم أنهـا تافهة أو فارغة أو لها مثيل أمر عجيب . إن الناس أحرار يتكلمون كما يشاءون بشرط عدم الإضرار بـالآخرين ، ولا يجوز البدء بمصادرة حريتهم قبل أن يعملـوا . ثـم ليسـت الحكومة هي التي تقرر تفاهة الحزب أو سـطحيته أو ... أو .. إنما هو الشعب - الناخبون هم الـذين يحكمـون علـى الحزب بذلك . فهم الذين يختارون ممثلـيهم فـي المجـالس التشريعية والمحلية . والناخبون هم الذين يسـتبعدون ذلـك المرشح وقبول الآخر . . وإذا ما أختار الشـعب مرشـحي حزب معين بأغلبية عددية في المجلس التشريعي فهؤلاء هم الذين سوف يؤلف منهم أعضاء الحكومة .

والمعروف أن الحزب لا يتكون فجأة كبيراً إن أي كـائن يبدأ صغيراً ثم يكبر ، ولم نر كائنا بدأ كبيراً وأزداد نمـوه . وهكذا الحزب ، ينضم العشرات إلى العشرات ، فالمئات إلى المئات ، فالآلاف إلى الآلاف ، ثم الملايين إلى الملايـين . ويصبح سيداً وقائداً وذلك لا يحدث إلا بمرور الوقت . فأين كان حزب العمل في بريطانيا في البداية ، كان حزبا منسياً ، ثم بدأ نجمه يبزغ تدريجياً حتى تمكـن أن يسـتولي علـى

السلطة بالطرق الديمقراطية ، وبعد علو وتوار انزوى زهاء ثمانية عشر عاماً ، ثم عاد من جديد ليحكم . هذه سنة الحياة ، ولا يجوز أن نعارضها لأن هناك أفكاراً معينة في عقولنـا نلزم الناس أن يسيروا عليها . لذلك يجـب تعـديل قـانون الأحزاب بحيث تلغى المادة الخاصة بلجنة شئون الأحـزاب وترك الناس يؤلفون أحزابه كما يشاءون . ولن يبقى علـى السطح وفي أعماق المجتمع إلا الأحزاب المتغلغلة في تلـك الأعماق . علما بأن المبادئ والبرامج والأهداف قد تأتي من النظر أو من خلال الممارسة العملية والأخـذ والـرد فـي الأفكار وغربلتها . وإلا كان علينا أن نشترط أن يكون عـدد مؤسسي الحزب خمسمائة فرد ينتمون إلى كل الـدوائر بـل أكثر من ذلك على اعتبار أن يكون الحزب جاهزاً للانتخابات المحلية وأن يكون للحزب مقرات في كل دائرة وأن يكون له تنظيم واضح . وذلك بجانب لائحة داخلية قويـة مقبولـة (وطبعاً لن تكون مقبولة من الحزب الحاكم وسوف يراها فـي كل وقت مرفوضة) . ذلك كله لا يحدث عملاً وإنما يـأتي بالتدريج والالتحام بالنـاس وتعـديل الأفكـار مـن خـلال المناقشات والجدل بين أعضاء الحزب . من أجل ذلـك لـم

ينص في قانون تشكيل الأحزاب بهذه الشروط السالف ذكرها لكن تم النص على ما هو أقوى من ذلك وهو موافقة لجنـة شئون الأحزاب ثم تشكيل المحكمة المختصـة بـالنظر فـي التظلمات من القضاة وأعضاء من مجلس الشعب . لا يولـد الحزب كبيراً فلم إذاً نطالبه بأن يكون كبيراً منذ البداية .؟ ..

وإذا ولد الحزب صغيراً .. محدود الأعضاء . ومبادئـه هزيلة سطحية غير متعمقة فما أثره على الشعب ؟ .. لا أثر . فما الداعي إلى القيود الكثيرة التي تحيط بتشكيله ؟ ..

لا يمكن مطالبة الحزب في بداية نشأته أن يكون كبيراً ثم يتضخم وهناك أحزاب بدأت كبيرة ثم تضاءلت فهل نلغيها ؟ وأحزاب أخرى كان عدد أعضائها قليلاً واستمر لا يذكر فهل يتم إلغاؤها ؟ .. والحزب إذا بدأ في جذب الناس إليه ، وألتف حوله الناخبون وصـوتوا لصـالح مرشـحيه فـي الانتخابات ، فهل نقصف عمر الحزب لأنه اصبح جماهيرياً أو تغلغل حتى النخاع في الشعب ، مع أنه بدأ صغيراً ، ألا يدعو ذلك إلى مباركة أهدافه وبرامجـه ؟ .. هـل نريـد للأحزاب القديمة أن تبقى هي الوحيدة على الساحة ، رغم أن أفكارها صارت بالية ، وأصبحت لا تجدي ، ولا تجـد لهـا

أعضاء جدد من أعضائها البارزين ، لأن القدامى مسيطرون ، أليس ذلك الوضع فيه وأد للأمـة ؟ .. لأن الـدماء فـي الأحزاب القديمة لا تتجدد .. ولكن الأمـة لا تمـوت إنمـا القوانين المقيدة للحريات هي التي تتقاص ، ويبقـى الشـعب مدي الحياة ، يصنع القوانين ويلغيها ويعدلها ويصوبها .

لا مانع أن تعترض الحكومة على لائحة الحزب الداخلية وتطالب وقف نشاطه أو تعترض على بعض أعضائه ، على أن ينظر القضاء الدعوى دون أن يكون فـي تكـوين هيئـة المحكمة أي عنصر إداري أو عنصر من أعضاء المجلـس التشريعي . وإذا حكمت المحكمة بأن الحزب ليس له مقومات الحزب كأن يكون دينيا أو عقائدياً أو يدعو إلـى تنظيمـات عسكرية ، فإن على أعضاء الحزب أن يفككوا تنظيمه ، ولهم إذا أرادوا أن يعودوا بشكل جديد ، وللسلطة أيضاً أن تطالـب حل حزب إذا أصبح من بين تشكيلاته ما يضـر بالمصـالح العليا للدولة كأن يصبح لديه إدارة تعمل على فصل جزء من التراب الوطني عن الوطن ، ففي هذه الحالة يكون الحزب قد فقد مقومات الأساسية لتشكيل الحزب .

وأعتقد أن الدولة حالياً أكثر تقدما عما كانت عليه من مائة سنة فإذا كان الحزب في الزمن القديم يمكـن تشـكيله دون إجراءات مقيدة للحرية فلا تأتي الدولة فـي نهايـة القـرن العشرين وتمنع قيام الأحزاب وتضع من الإجراءات ما يقيـد قيام أي حزب جديد .

(٥٤)

مواجهة البطالة في القرن الحادي والعشرين

في القرون الغابرة كانت مهمة الدولة أن تقوم بمراعاة أمن البلاد في الداخل والخارج . وأُضيفت إلـى هـذه الوظيفـة القضاء بين الناس وبين المجتمع والناس . ثم أُضيفت وظائف جديدة هي نشر التعليم والصحة . غيـر أن مهمـة إنشـاء وظائف للمواطنين لم تكن من مهمة الدولـة . كـان الأمـر متروكاً للقطاع الخاص . إذا شاء أنشأ الوظائف وإذا لم يشـأ لم ينشئ . ولذلك صارت البطالة تختفي أو تظهر بمقدار قيام مشروعات القطاع الخاص بامتصاصـها إلـى أن ظهـرت الأفكار الاشتراكية وصار من واجب الدولة كفالـة فـرص العمل لأبناء الوطن . وتحول طالبو العمل إلى إجراء لـدي الدولة . اصبح هناك جيش من الموظفين . وظهر ما يعرف بالعمالة القاصرة أي تلك العمالة المزعوم أنها تعمل ولكـن إنتاجيتها ضعيفة أو تعمل ساعات أقل من المقرر أو تنـدس في وظائف غير مجزية أو منتجة . ولمـا انهـارت الكتلـة الاشتراكية وذابت عاد من جديد عبء إنشاء فرص العمـل

على مشروعات القطاع الخاص . وكادت الدولة تتنصل من مسئوليتها في هذا الصدد . لكن الدولة ما زالت مسئولة عـن إزالة آلام المواطنين . فكما هي مسئولة عن إزالة آلام الأمية ومحو أضرار المرض ، فهي مسئولة أيضاً عـن محاربـة الفقر .

إن انتهاء عصر الفقر يؤدي إلـى انتهـاء زمـن الجهـل والمرض . إذا كان الفرد سوف يجد فرصة للعمل فإن معنى ذلك أن يجد فرصة للسكن وفرصة أن يعلم نفسه ويعلم أولاده وسوف يتمكن من شراء الدواء الذي ينقذه مـن المـرض أو يعالج أولاده منه . وبذلك يزيح الكآبة من حياته ويوقف الهدر الذي يصاب به المجتمع من جراء بطالته .

المشكلة هي أن المشروع العام يلاقي من الانتقـادات مـا يجعله غصة في عقول المفكرين . والمشروع الخاص يتطلب من المال ما يفتقر إليه الفرد أو مجموعـة مـن الأفـراد . والمصارف تأبي أن تقوم بدور المقترض إلا إذا كانت هناك ضمانات أكيدة تضمن للمصرف استرداد حقوقه كاملة مـن غير ضياع . والأفراد ليس لديهم عقارات أو منقولات تكون هي الضمانات في حالة خسارة مشروعهم . وظروف السوق

قد تؤدي إلى اضطراب اقتصاد المشروع فلا يـتمكن مـن الوفاء بالأقساط المطلوبة منه للمصرف . ويبدو من الأوفـق الأخذ في الوقت الحالي بنظرية جديدة هي عبارة عن توليفة بين القطاعين العام والخاص وذلك من أجل إنشـاء فـرص عمل للمواطنين عبر الزمن الجاري وفي المستقبل .

كيف تكون هذه التوليفة في هذا الزمن المضطرب ؟ ..

يجب أولاً أن تعرف الحكومة ما هو المعروض عليهـا مـن الأفراد بمواصفاتهم (مهن - تعليم - تـدريب - خبـرة) وذلك للعمل في المشروعات المختلفة .

ويجب ثانياً أن تعرف الحكومة ما هي المشروعات الواجـب القيام بها في الوقت الحاضر والمستقبل وما سوف تفرزه من وظائف ومواصفات هذه الوظائف .وذلك للوفـاء بحاجـات المجتمع من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات .

والقيام بعملية مقارنة بين المعروض والمطلوب - وهـي الخطوة الثالثة في عمليات التخطيط -سـوف يكشـف عـن الثغرات الموجودة في العرض من القوى العاملة أو الطلـب عليها .وسوف تؤدى المشروعات المنتظر القيام بهـا إلـى تحديد رأس المال المطلوب لإدارة المشاريع وتشغيلها وتحديد

الكفاءات المطلوبة وسوف تكون الدولة هي الممول في هـذه العمليات الإنشائية . وقد تستمد الدولـة الأمـوال اللازمـة للمشروع من الضرائب التي تفرضها على الأفراد والشركات أو من المصارف المختلفة أو عـن طريـق سـندات علـى الحكومة أو معونات ومساعدات وقروض خارجية . وقد تبدأ الحكومة بإنشاء المشروعات وإدارتها أو قد تعهد إلى شركات بإدارة وتشغيل المشروعات على أن تقـوم بالرقابـة علـى المتعهد بالإدارة وذلك طبقاً لما يتطلبه العمـل مـن حريـة الحركة والمرونة في القيام بالأعمال الصناعية أو التجارية أو الخدمية .

والثابت أن استقاء سياسات امتصاص العرض من القـوى العاملة أو سد العجز فيها سوف يكون مبنياً على هذه المقارنة بين العرض من القوى العاملة والطلـب عليهـا . وسـوف تحرك هذه المقارنة الأجهزة التعليميـة والتدريبيـة للوفـاء بمتطلبات المشروعات من العمالة . وسوف تحرك الأفـراد القادرين مالياً على الإسهام بالأموال وغيرها لتشـغيل هـذه المشروعات .

ويمكن بعد ذلك أن تبيع الحكومة هذه المشـروعات إلـى الأفراد أو العاملين بها وتبدأ في إنشاء مشـروعات أخـرى جديدة . وهكذا لا يتوقف التخطيط للقوى العاملة للمشـرعات والتخطيط الاقتصادي لهذه المشروعات وانتقـال رأس مـال المشروعات إلى الأفراد . فهذه عمليات مستمرة لا يجوز أن تتوقف . تتحرر فيها الحكومة من الروتين الحكومي ويتمكن الأفراد من اقتناص فرص العمل المناسبة لهم وتدور عجلـة الاقتصاد بما يحقق التنمية والتقدم .

(٥٥)

مواصفات القوى العاملة في المستقبل

إذا كان واجب الدولة في القرن الحـادي والعشـرين هـو إنشاء الوظائف لمواطني الدولة ، فإن عليها واجباً آخر هـو تهيئة القوى العاملة بها لشغل هذه الوظائف بكفاءة واقتدار . إن نظرة متعمقة إلى مستويات القوى العاملة في دولـة مـن الدول النامية تؤكد أن هذه القوى ذات صفات متخلفة . فقـد يكون نسبة العاملين في الزراعة بها تمثل ٥٠% من مجموع القوى العاملة . ونسبة الأميين لا تختلف عن النسبة السـابق الإشارة إليها . وقد تكون نسبة الأميين من النساء تمثل أكثر من سبعين في المائة منهن . فضلاً عن تخلـف مسـتويات التدريب . وانحطاط الخبرة الفنية والعلمية . لهذا كان واجب الدولة أن تقوم بعبء ترقية القوى العاملة .

لن يكون الأفراد قادرين على أن يقوموا بهذا العـبء لأن عمليات التعليم والتدريب عمليات تُجري دون محاولة جنـى الربح من ورائها . وليس هناك من الأفراد من يصرف ماله دون أن يحصل على أرباح من وراء هذا الصـرف . لـيس

هناك من الأفراد من يضحي بماله من أجل ما يسمي صـالح المجموع إلا قسراً ، اللهم إلا إذا كان ينفق في أوجه التدريب - تدريب عمال مصنعه - حتى يتمكنوا من القيام بالعمليات الإنتاجية المسندة إلى المتدربين فيما بعـد . وبـذلك ترتفـع الإنتاجية ويرتفع الإنتاج ويتعاظم الربح . فكأن مـا صـرفه على التدريب استرده وأكثر منه . لذلك كان من واجب الدولة الإنفاق على التعليم والتدريب وذلـك مـن أجـل تحسـين مستويات القوى العاملة وبالتالي تحسين العمليات الإنتاجيـة والخدمية .

ولا يقتصر واجب الدولة على تعليم أفراد الشـعب لمحـو أميتهم ، فمثل هذا الواجب صار لا أهمية له بعد أن تخطـت الدول مرحلة الإنتاج اليدوي والإنتاج الميكانيكي ، ودخلـت فيما يعرف بعصر الآلية . صار من الواجب تهيئة الأفـراد لدخول ذلك العصر . ولن يتسنى ذلك بمجرد أن يتعلم الفـرد القراءة والكتابة . ومادامت المصانع والمـزارع والمنشـآت الخدمية ستستفيد من هذا النوع الجديد من التعلـيم فلابـد أن تساهم في الإنفاق على التعليم والتدريب . فهم المسـتفيدون أولاً وآخر في نهاية المطاف . وقد تكفي نسبة ضـئيلة مـن

موازنة أي منشأة لمواجهة عمليات التعليم والتدريب تُدفع عن طيب خاطر من أجل تهيئة الأجيال القادمة . وعلى أن تـدفع هذه النسبة بصفة دورية ويتم تجميعها في حصـيلة واحـدة تُرصد لهذه العمليات والصرف الدوري عليها . وقـد يقـول قائل إن المنشأة الواحدة لو اسـتفادت مـرة مـن تحسـين مواصفات العمالة فلن تستفيد مرات أخرى . ولكن مثل هـذه الضريبة من أجل صالح المجموع وتضامن أفـراد الشـعب بعضهم مع البعض الآخر .

وإذا ما تقدمت وترقت القوى العاملة في دولة ما فسـوف يختفي ما يسمي بالعمالة غير الماهرة وستمثل العمالة نصف الماهرة نسبة قليلة من مجموع القـوى العاملـة . وسـوف تتزاحم العمالة الفنية والتقنية على الوظائف لذلك كـان مـن الواجب أن يكون هناك تنسيق مستمر بين مخرجات التعلـيم والتدريب ومدخلات النشاطات الاقتصادية من العمالة . ولن يتسنى ذلك إلا من خلال أن يجتمع رجال الصناعة ورجـال التعليم والتدريب في غرفة واحدة ويناقشون كل المشاكل التي تتعرض لها الصناعة بالمعني الواسع ويبحثون عن الحلـول العاجلة لمواجهة هذه المشاكل . ومثل هذه المجالس لو أنشئت

في كل محافظة فسوف تعمل على إيجاد العلاجات الناجعـة لمشاكل العمالة وتهيئة القوى العاملة في ذات المحافظـة . إذ أن اقتصار الوضع على المستوى القومي سوف يصرف نظر المخططين عن البعد الإقليمي وبالتالي لن تكون هناك فائـدة ناجعة للحلول على المستوى القومي . ذلك لأن هناك مشاكل تظهر في التفاصيل وتختلف من إقليم إلى آخر لـن يتسـنى علاجها إلا على مستوى الإقليم نفسه .

(٥٦)

مشروعات الغد

قرر مالتس في قرن غابر أن السكان يزيدون بمتوالية هندسية بينما الإنتاج يزيد بمتوالية عددية . ومعنى ذلك أن الوقت سوف يأتي ويلتهم فيه بعض البشر كل الإنتاج . وسوف يتضور الآخرون جوعاً ، لذلك فإن الحروب والمجاعات والأوبئة تقضي على ذلك البعض الجائع . فيقل بذلك عدد السكان . ويصبح الإنتاج كافياً لهذه البقية الباقية منهم . غير أن اكتشاف قارة أمريكا واستراليا وما فيهما من ثروات بكر خفف كثيراً من الزيادة السكانية - وكانت الحروب والأوبئة قد حصدت الكثير من السكان لكنهم استمروا في التكاثر بالرغم ذلك - وقامت الهجرة بتخفيض عدد السكان في البلاد التي تعرضت للمجاعات . غير أن الوضع عاد من جديد حينما توقفت الهجرة إلى أمريكا ولم يسبق الإنتاج الزيادة السكانية خاصة في البلاد النامية أو النائمة . وصار واضحاً أن المشكلة هي أن تتواكب زيادة

الإنتاج مع الزيادة السكانية أو بالأحرى أن يكفي الإنتاج النمو البشري .

في الدول المتقدمة استطاع البشر هناك أن يضعوا الحلـول لهذه المعضلة فقد بدأ كل فرد بنفسه فأصبح الإنجاب مقيـداً بحيث أصبحت الأسرة تتكون من الوالدين وولدين فقط . مما أدي إلى تخفيض معدل المواليد . بل هناك بلـدان أصـبحت تعاني من انخفاض عدد السكان بها وسمحت للهجـرة مـن الخارج أن تغزو حدودها ولو أن السكان المـواطنين بـدأوا يعارضون في الآونة الأخيرة دخول هؤلاء الأجانب بلادهـم والعمل فيها . ومن ناحية أخرى لجأت البلاد المتقدمـة إلـى اللجوء إلى المشروعات المكثفة لرأس المال حتـى تتجنـب المزيد من العمالة وتتمكن من تحقيق وفرة فـي الإنتـاج . بالإضافة إلى استغلال رأس المال الوطني في البلاد الأجنبية لرخص العمالة هناك ووجود المواد الأولية في هذه الـبلاد . وبذلك تمكنوا من القضاء على المشكلة ولكن القضاء لم يكن مبرماً إذ لا يزال هناك في هذه البلاد البطالة . وهي بطالـة تنشأ من عدم مطابقة مواصفات الطلب من القوي العاملة مع مواصفات العرض منها . أو انخفاض الأجور في الوظـائف

التي ينوي العاملون أن يلتحقوا بها فيفضلوا البطالـة علـى العمل بأجور منخفضة .

أما في الدول النامية فإن الوعي بالمشكلة السكانية لا يزال قاصراً ولا يزال الإنجاب على قدم   وساق والإفـراط فيه من الأمور المستحبة لدى الرجل والمرأة ، ممـا يرفـع عبء الإعالة . وإزاء ضعف الأجور تتـدهور المواصـفات التعليمية والصحية للشعوب .ومن ناحية أخرى يؤدي نقـص الادخار إلى تخفيض الاستثمار ومن ثم تراجع الإنتاج وسيادة الفقر . مما يجعل تلك الأوطان تدور في حلقـة مفرغـة لا تتمكن أن تكسرها فلا القروض الداخلية أو الخارجية أو حتى المعونات والمساعدات الأجنبيـة مـن الـدول المختلفـة أو المنظمات الدولية تتمكن من كسر حلقة الفقر .إن إنقاذ هـذه الدول من زلزال الفقر وتوابعه يحتاج إلى مجهود كبير وشاق وكفاح سنوات وعرق لا ينتهي وكد لا يتوقف . إذ لا يمكـن القضاء على مشكلة زيادة المواليد بين يوم وليلة . ولا تجوز التوصية بإطلاق سـراح الفقـر حتـى ينشـر المجاعـات والأمراض والأوبئة وذلك للقضاء على السكان غير الأقوياء غير الأصحاء . وتأجيل سن الزواج قد يدفع إلـى ارتكـاب

المعاصي وبدلاً من وجود أولاد شرعيين سوف يذخر الوطن بأولاد لقطاء غير شرعيين . وإذا طُلب من الرجال والإنـاث تنظيم الأسرة بما لا يحقق زيادة في المواليد فإن الأمـر قـد يستغرق وقتاً طويلاً لتخفيض عدد السكان فضـلاً عـن أن المعتقدات الدينية السائدة قد تقف في طريق هذا النداء . لكن لا بأس أن يعمل بهذه التوصية الرجال والنسـاء ويقومـون بتصغير حجم الأسرة بحيث لا تزيد عن ولدين أو بنتـين أو ولد وبنت . وسوف يؤدي ذلك في المستقبل إلى تخفيض عدد السكان عما هو منتظر أو يمكن التنبؤ به . ممـا سـوف يؤدي في المدى البعيد إلى تخفيض أعداد الداخلين الجدد إلى سوق العمل . ومن ناحية أخرى يجب تعويد الشـعب علـى الادخار حتى ولو بإنقاص النمط العادي من الاستهلاك فمـن كان يأكل رغيفين في الوجبة الواحدة يمكنه أن يأكل رغيفـاً واحداً . ومن كان يضع على المائدة أصنافاً مختلفة من الغذاء فليضع صنفين أو ثلاثة فقط . ومن كان يغير في ملبسه بـلا إشباع فليكتف بتبديل تلك العادة السيئة . ومن لا يضع فـي دفتر توفيره شيئاً عليه أن يضع من الآن فصاعداً . وهكـذا تتكون عادة الادخار لدى المواطنين . إن اليابـانيين - كمـا

جاء في الصحف - لا يسحبون مرتباتهم من البنـوك إنمـا يتعاملون بالشيكات وبقاء النقود في البنوك هـو نـوع مـن الادخار . وعن طريق الادخار سوف تتمكن الشـعوب مـن إقامة المشروعات التي سوف تستوعب طالبي العمـل مـن المواطنين .

إن إقامة المشروعات الصغيرة والعملاقة لأمر ضـروري لتبدأ عجلة التنمية الاقتصادية في البلاد . ويجب أن يتخيـر الأفراد المشروعات اللازمة لإشباع حاجات الناس . وكلمـا وجدت البلد من تتكامل معه اقتصادياً فلا بأس أن تتكامل لأن في التكامل توفيراً لنفقات اقتصادية كثيرة . ويجـب وضـع الخلافات السياسية جانباً وذلك من أجل مصـلحة الشـعوب وتقدمها ورقيها . فلا شك أن من عنده المال سوف يتشـارك مع من عنده القوى العاملة مع من عنـده المـواد الأوليـة والأرض الصالحة للزراعة . ونظرة عميقة إلى دول أوربا التي مزقتها الحروب في منتصف القرن العشرين . ومقارنة ذلك بالوضع الحالي ونحن علـى أعتـاب القـرن الحـادي والعشرين لتبين للمقارن الفرق الشاسع بين وضـع متهالـك مدمر ووضع نام صلب . إن نظرة أخرى إلى الدول العربية

تؤكد للناظر أن القوى العاملة العربية للمشروعات اللازمـة للمنطقة بأسرها كافية . وقد تكون هنـاك بعـض مشـكلات لتهيئة القوى العاملة تعليمياً وتدريبياً لكنها ليسـت مشـكلات عسيرة الحل . فضلاً عن أن هذه البلاد تتمتع بثروات كبيرة وأراض زراعية خصبة لا تحتاج فقط إلا إلى الماء والمـاء متوفر لا ينقصه إلا الإمدادات من أماكن تواجده إلى أمـاكن الأراضي الخصبة المتعطشة إليه (أنظر مشـروع توشـكي والأراضي الخصبة في السودان) . وهناك أيضاً رأس المال الراقد في المصارف لا عمل له يحتاج إلى إشارة خضـراء حتى ينساب إلى المشروعات التي تتطلبه . كـل مـا هـو مطلوب أن تجتمع العقول العربيـة وتقـوم بوضـع خطـط المشروعات وتمويلها وبرامج تنفيذ الخطط وبعد ذلـك يبـدأ العمل . ولا يجوز أن يستغرق ذلك الإعداد عشرات السـنين حتى يخرج إلى حيز التنفيذ ، فإن اختصار الوقت من ذهـب ولا يجوز أن يضيع ما في أيدينا من ذهب .

(٥٧)

إهدار المستبدين للحقوق والحريات العامة

يشغلني منذ أمد بعيد موضوع الاستبداد ، وكيـف أن فـرداً واحداً يتمكن من السيطرة على مقدرات دولة . وقـد يكـون شعب تلك الدولة محظوظاً حينما يكون المستبد رجلاً عادلاً ، يعمل من أجل خير بلاده والجماهير وصالحها (وهذه حالـة نادرة) . وقد يكون الشعب سيئ الحظ حينما يكون المسـتبد رجلاً لا يعمل إلا لصالحه الشخصي ، ومن أجل زيادة ثروته وثروة عائلته ، ومن أجل تحقيق أفكاره الخاصة في الحكـم وتصريف أمور البلاد ولا يتجاوب مع الرأي العام في بلاده . والغريب أن العالم كله نكب بالمستبدين منـذ بدايـة القـرن العشرين حتى الآن . ولا توجد إلا بؤر ضئيلة فـي العـالم تعمها الديمقراطية مثلما هو الحال في دول شمال أوربـا أو أمريكا الشمالية (أمريكا وكندا) . أما بقية دول العالم فقد كانت تعاني من الاستبداد وما أدى إليه من إهدار الحقوق والحريات العامة وضعف السلطة القضائية وإضعاف الروح

الجماهيرية المتمثلة في الأحزاب بل قصر العمل السياسـي على أفراد حزب واحد حزب مسيطر حـاكم دون نهايـة . فضلاً عن التصرف في مقدرات الشـعوب دون رادع مـن رأي عام أو حتى رادع من ضمير حي يقظ .

وقد بدأت الشعوب في القرن العشرين تئن من الاستبداد منـذ بدايته. وهي تُستذل بنير الاستبداد سـواء جـاء الـذل مـن الملكيات المطلقة أو تحول بعد ذلك إلى أشخاص تمكنوا مـن السيطرة على السلطة ومن ثم على الشعب . والأمثلة علـى ذلك كثيرة . روسيا بدأت القرن العشرين تحت حكم القياصرة ثم تعاقب على حكمها المستبدون . دول أوربا الشـرقية لـم يختلف الوضع فيها عما كان في روسيا . وما جاء تحررهـا في خاتمة القرن العشرين إلا بسبب انهيار النظم الشـيوعية القائمة على سيطرة الحزب الواحد - الحـزب الشـيوعي - على الحكم . ولا يختلف الوضع في دول أمريكا اللاتينية أو أفريقيا وآسيا فيما عدا الهند . وقـد بـدأت أغلـب الـدول كمستعمرات ثم استقلت لتنتقل إلى استبداديات (لو صح ذلك التعبير) .

شغلني فعلاً كيف يتمكن مستبد واحد من أن يسـيطر علـى مقاليد الحكم بهذه الدرجة دون معارضة تذكر ولا عصيان ؟ ! .. هل يرجع ذلك إلى قوة شخصية المستبد وسيطرته على قوى الأمن سواء الجيش أو الشرطة ؟ .. أم يرجع ذلك إلـى ضعف الشعب وانصياعه إلى أوامر المستبد دون مناقشـة أو حوار حتى لو كانت هذه الأوامر في غير صالح الشعب ؟ .. والكل يعرف أن المعارضة مصيرها السجن أو الاعتقـال أو الإعدام علاوة علـى إهـدار الحقـوق والحريـات العامـة للمواطنين . الواقع أن الفكرتين واردتين . فعادة ما يتحـول المستبد إلى قديس يرى الناس فيه الأمل في حيـاة كريمـة . وعادة ما يكون الشعب أمياً فقيراً غير صحيح الجسد معتـل الروح . لا يبغي إلا قوت يومه ليعـيش . لا أهميـة عنـده للسياسة أو القرارات المصيرية التي قد تقضي علـى لقمـة عيشه . وإذا اختفت هذه اللقمة يستكن ولا يتمرد أمـلاً فـي تحسن الحال يقتات من وعود المستبدين الزائفة .

وقد اختلفت النظريات في تأصيل ضرورة ضمان الحقـوق والحريات العامة من قبل الدولة والمجتمع . هنـاك مدرسـة القانون الطبيعي وهي تقول إن هناك قانوناً ثابتاً لا يتبـدل ،

يمكن اكتشافه من خلال العقل ، يعد أسمي من كل القوانين . يشتمل على مبادئ عالمية تحقق العدل للبشـر جميعـاً . ويرى أصحاب هذه المدرسة أن على الدولة أن تراعي ذلـك القانون عند صياغة تشريعاتها وإلا اتسـمت هـذه القـوانين بالبطلان .

وهناك نظرية الحقوق الطبيعية للإنسان ، والتي تـرى أن الفرد له حقوق سابقة على وجوده في المجتمـع ، يسـتمدها الإنسان من طبيعته ، ولا يجوز للدولة أن تمس هذه الحقوق ، لأن هذه الحقوق سابقة على تكوين الدولة ، ومن ثم فـإن الدولة يقع على كاهلها حماية هذه الحقوق من الإهدار ، ولا يجوز لها الاعتداء عليها أو وضع القيود عليها والانتقـاص منها . ثم هناك نظرية العقد الاجتماعي ، وهو عقد قيل إنه تم بين الحاكم والمحكومين ، يتعهد فيه الحـاكم أن يصـون ويحمي حقوق وحريات المواطنين العامة . والحقيقة أن كـل هذه النظريات تعمل على ضمان وحماية الحقوق والحريـات العامة للمواطنين من قبل الدولة .

ونعتقد أن الحقوق والحريات العامة هي مـدي يعـيش بـه الإنسان ويحيا يحقق استقلاله عن الآخرين وذاتيته وشخصيته

وكيانه لا يجوز للدولة أن تمتد إليها بالخسف والظلم . مثلمـا هناك مدى للمجتمع هو مصالحه العامة ونظمه العادلة العامة لا يجوز للفرد أن يتعداها . وفي نطاق المدى الفردي يتمتـع الفرد بحقوقه وحرياته العامة حتى يشعر بأنه إنسان له كرامة وعزة ومن ثم على الدولة أن تحمي هذا المـدى بقوانينهـا وبتصرفاتها . ومثل هذا الوضع لا يقبله المسـتبدون لأنهـم يريدون الخسف بالإنسان ليكون طوعاً لهـم . والمسـتبدون يتدخلون في هذا المدى ويحاولون تحطيمه وإهداره بزعم أنه يتعارض أو يؤثر تأثيراً سلبياً على مدى المجتمع أو الدولـة ومن ثم يعملون على الخسف بالإنسان وانتقاص قدره .

لكن ما هي الأسباب الخفية لإهـدار المسـتبدين لحقـوق المواطنين وحرياتهم العامة ؟ ..ذلك يحـدث لأن ممارسـة المواطن لحقوقه وحرياته تعوق المستبد من السيطرة علـى الحكم وتؤدي إلى كشف سطحية توجهاته ومـدى ضـحالة آرائه السياسية والاجتماعية ، وقد تؤدي إلى انتزاع السـلطة من بين يديه ، وهو أمر عسير عليه أن يقبله وقد يموت كمداً إذا أنتزع منه .

لكن هل يمكن أن تقوم حالة يكون فيها المستبد ممارساً للحكم ولا يهدر حقوق الأفراد وحرياتهم العامة . من غير المتصور ذلك ، لأن المستبد لا يقبل الحوار ويفرض الرأي ويثور غضباً إزاء النقد لذلك لا يتورع عن التنكيل بالأفراد المعارضين وتكميم أفواه باقي الشعب حتى لا يحدث الحوار والمناقشة في شئون البلاد .

والسؤال الدائم : كيف لأفراد شعب معين إنقاذ أنفسهم من براثن الاستبداد ؟ .. ذلك هو واجب يقع على عاتق القادرين علمياً وعملياً أو ثروة أو ديناً أو غير ذلك من القدرات الدافعة إلى الرقي .على هؤلاء الأفراد أن يتكاتفوا ويتضامنوا في سبيل تعليم الشعب وتدريبه وبالتالي رقي مداركه ومهاراته وخبراته وكذلك الأخذ بيده صحياً وثقافياً ورفع مستواه المعيشي بإيجاد فرص عمل لأفراده دون ما حاجة إلى ثورة أو تمرد أو عراك . يوم يجد المستبد أنه يحكم شعباً راقياً متعلماً صحيحاً لن يفكر أن يهدر كرامته أو حقوقه وحرياته العامة ولسوف يتراجع ويتواري لأنه لن يتمكن أن يحكم شعباً متحضراً .

(٥٨)

الاحتفال بالاستعمار

تحتفل إسرائيل هذه الأيام بعيد تأسيسها في عام ١٩٤٨ أي الاحتفال بمرور ٥٠ عاماً على إنشائها ، وهنـاك مـن المثقفين المصريين من ينادي بالاحتفال بالاستعمار الفرنسي ، يوم دخول نابليون إلى مصر لأنه أتـي إلينـا بالحضـارة والمطبعة والثقافة الفرنسية . فلم لا يطالب هؤلاء المثقفـون الشعب الفلسطيني بالاحتفال مع إسرائيل بعيد اسـتقلالها ؟ .. ولا فرق بين الغازي الفرنسي والمغتصب الإسرائيلي . وقـد يقول المثقفون في تبرير الاحتفال بهذا الاستعمار والاستيطان أن الإسرائيليين قد أعطوا فرص العمل لبعض الفلسطينيين (رغم أن في بعض الأحيان يطردونهم من أعمالهم بحجة أنهم يناصرون الإرهاب) . وأعطوهم فرص البناء (رغـم أن كثيراً ما يستولون على أبنيتهم بحجة التوسيع في أرضهم).

لقد كانت مصر آمنة فجاءت سفن فرنسا ودخلـت الميـاه الإقليمية عنوة ولاقت مقاومة في سبيل السيطرة على مقادير

البلاد . والعصابات الإسرائيلية تسللت بخفة وحصنت نفسها دون أن يشعر أبناء البلاد بالخطر أو شعروا به ولكـن لـم يأبهوا له . ودنس نابليون الأزهر بعسكره وخيلهم كما دنـس الإسرائيليون المسجد الأقصى في فلسطين . وسام الفرنسيون أهل مصر العذاب كما سام الإسرائيليون أهل فلسطين ذلـك العذاب وأمر منه . وخسـف الفرنسـيون بحقـوق الشـعب وحرياته كما خسف الإسرائيليون بحقـوق شـعب فلسـطين وحرياتهم بل نفوهم من البلاد وأجبروهم على مغادرتهـا . ولو كانت الجيوش الفرنسية تمكنت من البقاء في مصر لمـا تورعت عن طرد أهلها وتشريدهم خارج مصر مادام الواحد منه يناوئ الجيش المظفر .

أليس تلك مأساة أن يدعو بعـض المثقفـين فـي مصـر بالاحتفال بدخول الفرنسيين البلاد وعلـى رأسـهم نـابليون بونابرت ؟ .. ولم لا ينادون بالاحتفال بيوم جلاء الفرنسـيين عن البلاد ؟ .. كما يحدث وكنا نحتفل بعيد جـلاء الإنجليـز عن البلاد ؟ .. أو عيـد تحريـر سـيناء مـن الاحـتلال الإسرائيلي؟..

ولم الاحتفال ؟ .. هل لمجرد أن أجدادنا ذهبوا إلى فرنسـا وتعلموا هناك وعادوا يطبقون ما تعلموه في فرنسا يصبح من واجبنا أن نحتفل بالثقافة الفرنسية . ولم لا نحتفـل بالثقافـة البريطانية والثقافة الأمريكية وغيرها من الثقافات ونقضـي أيامنا نحتفل ونحتفل ونحتفل . ولم لا تحتفل اليابان مثلنا فهي بدأت الطريق إلى العلم والتكنولوجيا في الوقت الذي بدأنا فيه . ولم لا تحتفل فرنسا ذاتها بالثقافة العربية التي نهلت منهـا من الأندلس ، وهي البلد العربي القريب منها والمؤكد أنهـا نهلت من ثقافته . أم أن ثقافة العرب في الأندلس أصـبحت ملكا لأسبانيا المسيحية ولا صلة لها بالعرب ؟ ..

أعتقد أن فكرة الاحتفال في ذاتها مضيعة للوقت ولم نصل بعد إلى عصر الترف الذي نضيع فيه الوقت والمال . إلا إذا كان الاحتفال هو ترجمة المزيد من الكتب الأدبية والعلميـة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية أو بـالعكس وتطبيـق التقنية الفرنسية في بعض أوجـه الصـناعات المختلفـة أو استقبال السياح الفرنسيين لمشاهدة حضارتنا القديمة والحديثة . أو سفر المصريين لمشاهدة حضارتهم والاسـتفادة منهـا وقبول فرنسا مزيداً من البعثات العلمية والعملية للمصـريين

في جامعاتها أو معاهدها . هكذا يكون الاحتفال دون تحديـد موعد معين خاصة إذا كان هذا الموعـد يـرتبط باسـتعمار مصر . ولا أهمية لإدخال المطبعة لمصر أو قـراءة حجـر رشيد أو الأخذ بالقوانين الفرنسية . فلو تعمق الباحث كثيـراً لعرف أن المطبعة كانت معروفة قبل دخول نابليون مصـر في بلد عربي كما أنها كان تُستعمل لصالح الجيش الفرنسـي وإذاعة نشرات نابليون ، ولأدرك أن حجر رشيد كان مـن الممكن ألا يكتشف أثناء الحملة الفرنسية وكان من الممكن أن يتأخر اكتشافه حتى غزو الإنجليز لمصر فهل كنـا سـنمجد الإنجليز لهذا الاكتشاف . وهناك آثار كثيرة أكتشفها إنجليـز فلم نهلل لاكتشاف حجر رشـيد فقـط ؟ .. أمـا القـوانين الفرنسية فلم تكن قواعدها رائعة وتتفوق في دقـة صـياغتها عن قواعد الشريعة الإسلامية ودقة صياغتها ، ولكن نظـراً لأن العصر المملوكي كان عصر انحطاط واستبداد فتم إخفاء القواعد الشرعية حتى لا يطعن فـي تصـرفات المسـتبدين بإعلان ما في الشريعة من قواعد لا تسمح بـالظلم و تـدعم العدل ، وفي ذلك الوقت وبعده حدث الظن بـأن الفرنسـيين

جاءوا بما لم يأت به الأوائل ولم يفكـر أحـد أن الشـريعة الإسلامية منهل عذب يمكن أن يشرب منه السائل والمحروم.

إن الاحتفال بيوم استعمار البلاد هو فكرة سـيئة للغايـة . والفكرة المثلى هي الاحتفال بيوم جلاء المستعمر . ولكن هل يرضى الفرنسيون أن نحتفل معاً بيوم جلاء قواتهم المسـلحة عن البلاد ؟ .. لا أعتقد ذلك . وإلا كانت فرنسا احتفلت مـع ألمانيا بعيد تحررها من الاحتلال الألماني عن فرنسـا فـي الحرب العالمية الثانية . وهل يقبل الفرنسيون الاحتفال بيـوم احتلال ألمانيا لفرنسا فـي الحـرب المـذكورة ؟ .. سـلوا الفرنسيين في ذلك . والمؤكد أن الإجابة بالنفي . وإذا كانـت الإجابة بالنفي فلم تكون بالإيجاب في حالة مصر ؟ .

المؤلفات :

الكتب السياسية والاقتصادية :

الرقابة السياسية على أعمال السلطة التنفيذية ، مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٣ .

العمالة وفرص العمل ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، ١٩٩٨.

القرارات الاقتصادية بين الفرد والمجتمع ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، ٢٠٠٠ .

الانتخابات ، موسوعة الشباب السياسية ، ٢٠٠١ .

* الدول بين التخلف والتقدم ، كتاب الأهرام الاقتصـادي ، ٢٠٠٢

الروايات والمجموعات القصصية

اللقمة في يد النساء ١٩٧٧

بذور ١٩٨١

وقائع غير مرئية تحت الشمس ١٩٨٧

لآلئ الزمن الخالي ١٩٧٨

خذ الحذر ١٩٨٨

غالباً ما يتفتح الزهر ١٩٨٨

السفر إلى زمن ميت ١٩٨٩

بعد فوران الحمم ١٩٨٩

الدكاكين الصغيرة ١٩٩٠

لو أعلنت الحقيقة ١٩٩١

نفحات من العطر المعتق ١٩٩١

العودة إلى الحياة ١٩٩١

مازلت أتألم ١٩٩٢

انقلاب في الثلاثين ١٩٩٣

الجري وراء الأهواء ١٩٩٣

الميراث ١٩٩٤

سلام الذئاب والحملان ١٩٩٤

المصيدة الكبرى ١٩٩٥

شقة الهوى والهوان ١٩٩٦ (صدرت بتمويل من اتحاد كتاب مصر)

الحب بالإكراه ١٩٩٩صدرت في سوريا

ليالي الزعبلاوي ١٩٩٩ صدرت في سوريا

ملكة الأرخبيل ١٩٩٩صدرت في سوريا

دوامة بلا حدود١٩٩٩ في سوريا و٢٠٠٠ في مصر

الهجرة من المستنقع ١٩٩٩

مهاجر من إسرائيل ٢٠٠٠

الهارب من النار ٢٠٠٢

الخداع يعود بثوب جديد ٢٠٠٢

فندق الشقاء الأزرق٢٠٠٢

الميت الحي ٢٠٠٢

أين الكموني ٢٠٠٢

المتعة عند الغروب ٢٠٠٢

الأخوان نار ونور ٢٠٠٢

حرب الصقور ٢٠٠٤

لغة بلا كلمات ٢٠٠٤

بين المهمشين ٢٠٠٤

الخطيئة والندم ٢٠٠٤

دار النشر الإلكتروني

مؤلفات سياسية واقتصادية
الطريق إلى الإصلاح السياسي ٢٠٠٥
توصيات اقتصادية ٢٠٠٥
السلطات العامة ٢٠٠٥
السيادة بين الاقتصاد والسياسية ٢٠٠٥
قضايا دستورية ٢٠٠٥
بعض ما جادت به القريحة ٢٠٠٥
روايات ومجموعات قصصية
عبور الخط الأحمر ٢٠٠٥
ذكريات فضيلة ودليلة ٢٠٠٥
اعترافات الورد والشوك ٢٠٠٥
الأهوج٢٠٠٥
أيامي الأخيرة ٢٠٠٥
كشف الماضي ٢٠٠٥
أخبار الشخصيات البارزة ٢٠٠٥
الاعتقال في الدار ٢٠٠٥
خسائر ومكاسب الجزء الأول خسائر بلا تعويضات ٢٠٠٥